

تحديات الأمن الفكري في صدر الإسلام ومدى الاستفادة منها في تجربتنا الحضارية

بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري

«المفاهيم والتحديات»

في الفترة من ٢٢-٢٥ جماد الأول ١٤٣٠ هـ

كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات

الأمن الفكري بجامعة الملك سعود

قدمه:

د. مشرف أحمد الزهراني

أستاذ مساعد التفسير وعلومه بكلية العلوم والدراسات الإنسانية

جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ما خلق داء إلا جعل له دواء، عَلمه مَنْ جَهِلَه مَنْ جَهِلَه، والصلاة والسلام على نبينا محمد النبي الأمين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحابه الطيبين الطاهرين وبعد:

فهذه الصفحات مساهمة متواضعة في تلُمُّح التحديات الفكرية التي تواجه أمتنا في تجربتها المعاصرة يتقدم بها الباحث إلى كرسي الأمير نايف لدراسات الأمر الفكري عسى أن تكون لبنة في صرح الجهود المبذولة لمواجهة هذه التحديات.

موضوع البحث وأهميته:

فلما كانت حلقات التاريخ تتواصل، وكانت الأمم في حياتها كالإنسان في عمره؛ يختزن في هرمه كثيرا من تجارب طفولته وشبابه، فقد وجدنا هذه القاعدة تنطبق على التحديات الفكرية التي تواجه أمتنا في واقعها المعاصر، فالفكرة الأولى للانحراف تأخذ شكلاً مبدئياً ثم تتبلور وتتطور، وتعدد أشكالها على مر الزمان، (فإن الفكر الإنساني موصول الحلقات، لا تنفصل حلقة من حلقاتها عن تاليتها، والجماعات الإنسانية لا تعيش بأفكار معزولة عما سبقها من الأفكار وإنما يؤثر السابق في اللاحق ويتأثر اللاحق بالسابق)^(١).

ومن هنا كان النظر لازماً في أصول هذا الفكر المنحرف الذي يتحدى أمتنا في تجربتها الحضارية المعاصرة، من حيث روافده وطبيعته، ومداخله وموقف أولي العلم والأمر منه في صدر الإسلام، حتى يستبين لنا سبيل واضح نقتفيه في هذه التجربة المعاصرة التي تخوضها أمتنا الإسلامية نحو أمن فكري إسلامي. ولذلك وقع الاختيار على موضوع (تحديات الأمن الفكري في صدر الإسلام ومدى الإفادة منها في تجربتنا الحضارية)، إذ لم يعد خافياً على أحد ما تواجهه الأمة الإسلامية من تحديات فكرية تمس بالدرجة الأولى أمرين هما أخطر ما تعتز به: عقيدتها وأمنها، فعلى مدار التاريخ كان العدو المتربص بها يسعى إلى زعزعة الأمن العقدي بالقوة نفسها التي يسعى بها إلى زعزعة الأمن العسكري والاقتصادي والاجتماعي.

أهداف البحث:

وتتمثل أهم أهداف البحث فيما يلي:

١. المساهمة العلمية في مواجهة تحديات الأمن الفكري التي تتعرض لها أمتنا.
٢. وصل الحاضر بالماضي من خلال استشارة التاريخ والبحث في تراثنا الحضاري العريق عن أصول

(1) عثمان، عبدالتواب: أثر آراء الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر ص ٧.

منهجية للتعامل مع مشكلاتنا المعاصرة.

٣. تقدير جهود الصدر الأول في مواجهة تحديات الأمن الفكري.

٤. الاطلاع على أصول التحديات المعاصرة للأمن الفكري وتبيين ملامحها الأساسية عملاً بقاعدة (الحكم على الشيء فرع عن تصوره).

٥. التوصل إلى حلول عملية تطبيقية في واقعنا المعاصر مستقاة من هذه الجوانب السابقة.

الدراسات السابقة:

لم أجد على قدر بحثي دراسة تعالج هذا الموضوع من هذا المنطلق الذي اخترته، وإن كانت هناك بعض الدراسات التي اهتمت بآثار بعض الأفكار القديمة في الواقع الفكري المعاصر، كدراسة عبدالتواب عثمان: أثر آراء الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر، ولكنها دراسة محصورة في الجانب الفكري لفرقة واحدة كما أنها لا تتعرض لطريقة المواجهة لا في القدم ولا في الحديث. وقد أفدت من دراسات مختلفة تجاذبت عناصر البحث دون أن يكون لها صبغته أو تقترب من فكرته وخطته.

منهج البحث:

وقد اختار الباحث المنهج الوصفي التحليلي مع مراعاة المنهج التاريخي حين تدعو الحاجة إليه.

مصطلحات البحث:

- الأمن الفكري: قصدنا به الحفاظ على سلامة المعتقدات والتصورات والقيم والأفكار الأصيلة في مواجهة غزو التيارات الثقافية الغربية عنها.
- صدر الإسلام: قصدنا به العصر الأول الذي تشكلت فيه الأفكار والمعتقدات وآلياتها وآليات مواجهتها، ويمتد من عصر النبوة إلى نهاية الدولة الأموية.

وبعد:

فهذا جهد المقل حسبما سمحت به ظروف البحث، إذ الهدف هو إلقاء الضوء على هذه العناصر المطروحة ومحاولة التوصل إلى حل من خلال ذلك. وما توفيقاً لا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

تمهيد:

من الواضح أن التحديات الفكرية العقديّة التي واجهت صدر الإسلام كان لها أثرها الكبير في زلزلة الأمن العقدي والسياسي والعسكري لولا أن تدارك الله عز وجل الأمة في مهدها بما حفظ لها من مقومات بقائها، فقد تعرضت الأمة لمساع متعددة من جهات مختلفة في هذا الصدد، وقد سجّل القرآن الكريم هذا السعي محذراً الجماعة الأولى نواة الإسلام وأصل الأمة الإسلامية سواءً كان هذا السعي على يد مشركي مكة أو على يد أهل الكتاب أو على يد المنافقين^(١).

ويذكر على سبيل المثال أثر المنافقين في معاونة أعداء الإسلام من المشركين واليهود، وكذلك مقولاتهم التي تسللت إلى نفوس بعض المسلمين في غزوة أحد وبعد غزوة تبوك وغيرها^(٢)، ثم أثر المرتدين في شغل المسلمين في عهد أبي بكر رضي الله عنه بحروبهم، حتى قتل كثير من خيار الصحابة ومنهم القراء، خصوصاً في حروب اليمامة، وظلت قلائل الخوارج والزنادقة والرافضة تؤثر سلباً في معتقدات بعض المسلمين واهتمامات بعض الخلفاء والعلماء على طول الخط التاريخي، وفي هذا مَقنع للاستدلال على خطورة الفكر المنحرف وضرورة السعي لإيجاد أمن فكري يقوم على قواعد راسية .

وقد حرص الإسلام منذ بداية البعثة النبوية المباركة على تثبيت الأمن العقدي الفكري في نفوس الصحابة الكرام في مواجعتهم العقديّة القويّة والمتعددة الوسائل مع كفار مكة ثم مع يهود المدينة ومنافقيها ثم مع عناصر الانحراف الفكري داخل الجماعة المسلمة نفسها، وذلك بتثبيت العقيدة الصحيحة وتوضيح المفاهيم وتصحيح الزلات العقديّة والسلوكية التي ربما صدرت بين الحين والآخر من بعض الصحابة أو الأعراب لجهلهم العارض بالمفهوم الصحيح المتعلق بهذا الفهم أو التصرف والتوجيهات القرآنية والنبوية في هذا المجال كثيرة، كالنهي عن التولة والتمايم^(٣)، وتصحيح بعض المفاهيم المنحرفة التي أدت إلى سلوك غير سوي^(١) .

(1) يقول الله سبحانه وتعالى مبيّناً مَنته على النبي ﷺ بتثبيته إياه أمام محاولات الكفار في الركون إليهم والتخلي عن بعض ما بعثه الله عز وجل به من الحق: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَاتُخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) [الإسراء: ٧٣، ٧٤] وكذلك أفراد المؤمنين، قال تعالى ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا)) وقال تعالى في المنافقين ((وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً)) [النساء: ٨٩] فهذه الآية وغيرها من الآيات تدل على أن السعي إلى إضلال المؤمنين وإزاحتهم عن عقيدتهم هو سعي قديم يتمدد وتتكاثر وسائله وتتطور .

(2) وذلك مثل قوله تعالى: ((لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)) [المنافقون: ٨]

(3) كقوله صلى الله عليه وسلم: " ان الرقي والتمايم والتولة شرك " أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود ٣٨١/١ ح ٣٦١٥، وصححه الألباني في الصحيحة ح ٣٣١.

المبحث الأول: أهم التحديات التي واجهت الأمن الفكري في صدر الإسلام:

إلا أنه شاء الله تعالى لهذه الأمة أن تبلى بتحديات الأفكار المنحرفة منذ صدرها الأول وتظهر في كل خطوة من خطوات هذه التحديات قوة هذه الأمة على مواجهتها وتستبين مداخل هذه التحديات وطرق مواجهتها، ولعل أهم ما واجه الصدر الأول من تحديات فكرية يمكن إجمال أصوله فيما يلي:

- ١ - النفاق الذي اتخذ أشكالا فكرية تمثلت في الزندقة والإلحاد والشعبوية .
- ٢ - الانحراف الفكري المتعلق بالنص بين الغلو الذي تمثل طوائف الخوارج وغلاة الشيعة والتفريط الذي تمثل طوائف المرجئة .
- ٣ - الانحراف الفكري المتعلق بالعقل والذي ظهر جليا في فكر المعتزلة، ومن الحسن أن نشير إلى أمرين مهمين هما:

الأول: أن هذه الأفكار لم تكن عارية من السلوك العملي الذي يعد تطبيقاً لها، وبقدر ما كان في الفكرة من الانحراف وجد الانحراف في السلوك .

والثاني: وجود تلاقح بين بعض هذه الأفكار وتزواج في مداخلها الفكرية والسلوكية، فكثير من غلاة الشيعة اعتنقوا بعض أفكار المعتزلة وفكرة الخروج على الحكام وجدت عند أكثر من اتجاه فكري منحرف مع اختلاف البواعث والمبررات، ويحسن أن نفصل هذه التحديات فيما يلي:

- ١ - النفاق وأشكاله المختلفة: وقد نشأ النفاق وظهرت معالمه في العصر النبوي بعد الهجرة وذلك لأسباب منها: دخول فريق من اليهود في الإسلام مع إخفائهم الكفر والمكيدة، ومتابعة بعض أهل المدينة إياهم على هذا السلوك، وقد أوضح القرآن الكريم حقيقة هؤلاء منذ أوائل السور نزولاً في المدينة كسورة البقرة إذ يقول سبحانه وتعالى: ((يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا

=

(1) والأمثلة على ذلك كثيرة مشهورة منها حديث القوم الذين تذاكروا عبادة النبي ﷺ فكأنهم تقالوها، فقالوا: إن النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أصلي ولا أنام، وقال الثالث: لا أنكح النساء، فهذا السلوك من المشقة على النفس في العبادة أو التزهد بناء على تصوّر فاسد وفهم سقيم أدى إلى غضب النبي ﷺ وبيان الفهم الصحيح والتصرف السني القويم في قوله عليه الصلاة والسلام: "ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا، ولكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني" أخرجه مسلم: كتاب النكاح - باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ح ١٤٠١. وابن حبان: المقدمة - باب الاعتصام بالسنة ح ١٤، من حديث أنس رضي الله عنه".

أَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)) [البقرة: ٩ - ١٥]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية لأن مكة لم يكن بها نفاق ... فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم ... فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته، قال عبدالله بن أبي بن سلول ...: هذا أمر قد توجه، فأظهر الدخول في الإسلام ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب)^(١).

وقد توالى الآيات تكشف دخائل المنافقين من العرب واليهود الذي أظهرها الإسلام وأبطنوا الكفر والخديعة، وروت كتب السيرة من مخادعاتهم وإفسادهم ما هو مشهور، فأصبح النفاق هو: إظهار الإسلام وإبطان الكفر، (وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفاً يقال: نافع ينافق منافقة ونفاقاً)^(٢)، فهو مشتق من نفاقاء اليربوع، وهو حجره الذي يدخل منه ويخرج من غيره، ويتبين من هذا أن كل مبطن لعقيدة من عقائد الكفر والشرك ينطبق عليه مصطلح النفاق، وأنه ليس خاصاً بالمنافقين في العهد النبوي، ويؤيد ذلك قول حذيفة رضي الله عنه: (المنافقون اليوم شرّ منهم على عهد رسول الله ﷺ كانوا يومئذ يكتُمونه وهم اليوم يظهرونه)^(٣)، كما يدل قول حذيفة أيضاً على أن المنافقين قد يتبححون بإظهار مكنون عقائدهم بصورة ما، كلما خفت الرقابة عليهم، حتى إنهم يتفوهون بالكفر وقد يعتذرون عنه بأنهم لا يقصدونه، ولعله على هذا يتنزل قول حذيفة نفسه (ذهب النفاق فلا نفاق، إنما هو الكفر بعد الإيمان).

لقد تطور (لحن القول) المشار إليه في الآية الكريمة في قول تعالى: ((وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ)) [محمد: ٣٠] من كفر غامض معتذر عنه إلى كفر جليٍّ مبرر مقعد له، مع الاحتماء بدثار الإسلام الشكلي، وهذا اللون من النفاق هو الذي سمي عند المسلمين بالزندقة، فالزنديق في الاصطلاح: (هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر، كان يسمى منافقاً ويسمى اليوم زنديقاً)^(٤)، ومن هنا يتضح أن الزندقة تطور ثقافي للنفاق فهي

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٧٤/١).

(٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ص ٩٣٤.

(٣) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء (٢٨٠/١).

(٤) البعلي: المطلع على أبواب المقتنع (٢٧٨) للبعلي.

تأخذ منه وتزيد فيه ومن ثم كانت محاولات التفريق بينهما مشكلة كما نقل الزبيدي في تاج العروس^(١). وأصل الزنديق فارسي معرب عن (زنديك) وهو (متبع الزند، أي الشروح القديمة للأوفاستا، وهو كتاب زردشت، المفضل له على النص المقدس، وقد سمي المانوية زنادقة لميلهم إلى تأويل الكتب المقدسة ... وشرحها حسب آرائهم وأهوائهم)^(٢)، وجذورها الفارسية لا تعني انحسارها في الفرس، وإنما كان تطبيقها الأول والمستمر على من يظهر فكراً كفرياً مخالفاً للإسلام مع تدرجه بعبادة الإسلام شكلاً فأصبح المقصود بالزنديق عند الفقهاء هو: (المنافق الذي يظهر الإسلام ويطن الكفر، وإن كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن، وسواء كان في باطنه يهودياً أو نصرانياً، أو مشركاً أو وثنياً، وسواء كان معطلاً للصانع وللنبوة، أو للنبوة فقط، أو لنبوة نبينا ﷺ فقط، فهذا زنديق وهو منافق، وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا بإجماع المسلمين)^(٣).

لقد تسلسل هؤلاء الزنادقة بفكرهم الإلحادي منذ صدر الإسلام، وإن كان صوتهم خافتاً في عهد الدولة الأموية (لأن الدولة الأموية كانت في عنفوان قوتها، وأوج عزتها، كما كانت بالمرصاد لكل أرباب الملل المناقضة للروح الإسلامية)^(٤)، وليس معنى هذا أنه لم توجد الزندقة أيامئذٍ، فقد أتهم عبد الصمد بن عبد الأعلى مربي الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بالزندقة^(٥)، وكذلك أتهم الجعد بن درهم مربي مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، حتى ذكر ابن النديم أن الجعد أدخل مروان وولده في الزندقة^(٦)، وقد وصل الأمر بشيوع الزندقة وخصوصاً في الموالي وخطرها إلى أن وجه نصر بن سيار أحد ولاة بني أمية صيحة تذر للأمويين الذين انشغلوا في الخلافات بينهم وتركوا هذا العدو^(٧).

وقد طعن هؤلاء الزنادقة في الرسالة النبوية وسخروا من معجزات الأنبياء حتى ذهب إخوان الصفا إلى أن

(1) الزبيدي: تاج العروس (٢٤٠/٢٥) .

(2) عطوان، حسين: الزندقة و الشعوبية في العصر العباسي الأول ص ١٢ وانظر جرجس داود : الزندقة والزنادقة في الأدب العربي ص ٤٣ .

(3) ابن تيمية: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة و القرامطة والباطنية (١٧٢/٢) .

(4) عطوان، حسين: الزندقة والشعوبية (ص ١٧) .

(5) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٢٣٧/٣٦ .

(6) ابن النديم: الفهرست ص ٤٧٢ .

(7) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال (ص ٣٦١) . وقد وصفهم نصر بن سيار بسوء الدين في قوله:

قوماً يدينون ديناً ما سمعت به عن الرسول ولا جاءت به الكتب

(النبوة مكتسبة وأن المعجزات حيل ومخاريق)^(١).

ومن الملاحظ أن هذه الأفكار الإلحادية قد ارتبطت منذ أول نشأتها بالشعبية وهي فكرة تعصّب الموالي من الأعاجم ضد العرب، إذ لم تكتفِ الشعبية بما قرره الإسلام من مساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين، وربطه كرامة الإنسان وفضله بالتقوى والعمل الصالح - وهي مفاهيم واضحة لا تحتاج إلى استدلال - وإنما تزيّدوا بالطعن على العرب وتحنّوا الفرص لمحاولة انقلاب ثقافي وسياسي أفزع العلماء والولاة، وقد تفتّطن المتابعون لحركة الزندقة في هذا الوقت إلى العلاقة بينها وبين الشعبية، يقول الجاحظ: (فإنما عامة من ارتاب بالإسلام إنما جاءه هذا عن طريق الشعبية، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف)^(٢)، فقد تحدّد هدف الزنادقة وغايتهم الهدامة في (نفسخ الدولة العربية الإسلامية وتصديق كيانها وتدمير أخلاقها ومثلها وقيمها، ونسف الإسلام وهو عمادها وقوامها، وبنسفه تتحطم قواعدها ودعائمها، وتهدم قلاعها وحصونها)^(٣).

ولعله مما سبق يتضح خطر هذا التحدي الكبير الذي نبت متمثلاً في النفاق ثم متمدداً ومتطوراً إلى الزندقة والشعبوية التي مثلت تحدياً من أهم التحديات المواجهة للإسلام في صدره الأول .

٢ - الانحراف الفكري المتعلق بفهم النص: وهو من أخطر التحديات التي واجهت الإسلام في بواكير دولته الفتية، فقد كان القرآن الكريم وحديث النبي ﷺ مصدر العمل والتشريع للمسلمين، وهما نصوص شريفة لها ما للنصوص من خصائص، بل ربما زاد القرآن الكريم خصيصة عظيمة كفلت بقاء روحه، واستمرار عطائه البياني على مرّ العصور عبّر عنها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأن (القرآن حمّال ذو وجوه)^(٤)، كما وجّه ابن عباس رضي الله عنهما إلى كيفية مجادلة الخوارج إذ قال له: (أذهب إليهم فخاصمهم، ولا تحاجّهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة)^(٥) وهذا الملمح منه رضي الله عنه يشير إلى خطورة الفهم الخاطيء للقرآن الكريم، والذي عاجله بأهمية الرجوع إلى السنة، وذلك أن (البدع الأولى مثل بدعة الخوارج، إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته ولكن فهموا منه ما لم يدل عليه)^(٦)، وقد نتج عن هذا الانحراف في فهم كتاب الله عزّ وجل اتجاهاً متناقضاً كل منهما حائد عن القصد، هما اتجاه الغلو واتجاه التفريط .

(1) الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء (٣٧/٣١٤).

(2) الجاحظ: الحيوان (٢٢٠/٧).

(3) عطوان، حسين: الزندقة والشعبية (ص ٢٣).

(4) السيوطي: الإتيان في علوم القرآن (١٤٥/٢).

(5) السيوطي: الإتيان في علوم القرآن (١٤٥/٢).

(6) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٣٠/١٣).

أ - اتجاه الغلو في الدين: وتمثله الخوارج بفرقهم المختلفة، وغلاة الشيعة تمثيلاً واضحاً، فإذا كان أصل الغلو في اللغة (يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر)^(١)، فهو في الاصطلاح التشدد والتصلب إلى درجة مجاوزة الحد، سواءً كان في الجانب الاعتقادي أو في الجانب العملي، ولما كان الأصل الاعتقادي هو مآل التصرفات المنبعثة عن الفكر والعقيدة فإنه يحسن التركيز عليه لأنه هو حجر الزاوية الذي مثل التحدي الفكري للإسلام في صدره، ونتج عنه تطبيقات عملية منحرفة، ومن هنا كان (أشد خطراً وأعظم ضرراً من الغلو العملي، إذ الغلو الكلي الاعتقادي هو المؤدي إلى الانشقاقات وهو المظهر للفرق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم)^(٢).

ويرتكز هذا الغلو على عدم فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله في الخوارج: (يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم)^(٣) ومعناه (أنهم لم ينتفعوا بقراءته إذ تأولوه على غير سبيل السنة المبينة له ... تأولوا القرآن بآرائهم فضلو وأضلو فلم ينتفعوا به)^(٤)، ومن تطبيقات ذلك عندهم ما لحه ابن عمر رضي الله عنهما من أنهم (انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)^(٥).

لقد انطلقت عبارة "إن الحكم إلا لله" من الخوارج لتعلن بداية المروق الفكري عن جماعة المسلمين، وهو المتمثل في تكفير أهل الإسلام، فهم (أول من كفر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يروونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك)^(٦). ومن ثم كان انشقاق الخوارج أول تحدٍّ عملي ناتج عن اعتقاد منحرف يشقّ صف المسلمين، فبتطور هذا المذهب تبلورت أصوله فيما يلي:

- ١ - التكفير بالمعاصي .
- ٢ - الخروج على أئمة المسلمين اعتقاداً وعملاً، بصرف النصوص إلى منازعة الأئمة والخروج عليهم .
- ٣ - الشدة على المسلمين واستعمال الغلظة والجفوة في معاملتهم^(٧)

(1) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (٧٧٢) .

(2) عبدالرحمن بن معلا اللويحق: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة (ص ٧٠).

(3) أخرجه البخاري في مواضع منها: كتاب فضائل القرآن - باب إثم من رأى بالقرآن ح ٤٧٧١، من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم: كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح ١٠٦٣، من حديث جابر رضي الله عنهما.

(4) ابن عبد البر: الاستذكار (٤٩٩/٢).

(5) ذكره البخاري معلقاً : كتاب استتابة المرتدين - باب قتل الخوارج، ووصله ابن عبدالبر في التمهيد ٣٣٥/٢٣، والحافظ في تغليق التعليق ٢٥٩/٥.

(6) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٤٨١/٧).

(7) انظر الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/ ١٦٨ وما بعدها، وناصر العقل: الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام

وكان هذا مكمناً خطراً على معتقدات المسلمين وأمنهم، إذ استمرت ثورتهم على الأئمة وقلقلهم وترويعهم للآمنين ابتداءً من خروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ خرجوا في عهده أكثر من خمس مرات^(١)، ثم خرجوا في العصر الأموي على معاوية مرات في الكوفة والبصرة حتى استولوا على الأهواز بقيادة نافع بن الأزرق ومنها استمرت معاركهم مع بني أمية التي لم تنته، وحتى بعد ضعف قوتهم في أوائل العصر العباسي خرجوا أكثر من مرة على الرغم من صدّ جيوش الخلافة لهم^(٢).

ولا شك أن تكفيرهم للأئمة أودع فيهم حسّ اللامبالاة بما يفعلونه بمقدراتها كائناً ما كان، ومن أمثلة ذلك: أنهم عندما دخلوا الكوفة اقتحموا المسجد الأعظم وقتلوا المصلين فيه^(٣) وهذا يبرهن على الخطر الذي مثله فكر الخوارج على مر التاريخ الإسلامي والذي ظهر امتداده في العصر الحديث كما سيأتي .

ووجه آخر من وجوه الغلو نجده عند غلاة الشيعة منذ العهد الأول فمن المشهور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحرق قوماً لغلوهم فيه^(٤)، وتذكر كتب الفرق أن الغرابية - وهي إحدى فرقهم - كانوا يرون أن علياً أحقّ بالنبوة، وأن جبريل أرسل إليه (فغلط في طريقه فذهب إلى محمد لأنه كان يشبهه وقالوا: كان أشبه به من الغراب بالغراب)^(٥)، فقد حدث الغلو منهم في صدر الإسلام في أيام علي رضي الله عنه، على الرغم من تحذير القرآن الكريم والسنة المطهرة منه، إذ حذر القرآن الكريم من ذلك متمثلاً في شخص عزيز وعيسى بن مريم عليهما السلام، قال تعالى ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)) [التوبة: ٣٠]، وقد جند هذا الغلو الأجناد لحرب أئمة المسلمين وبغض الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، وجعل لعنهم وسبهم والبراءة منهم أصلاً من أصول مذهبهم، كما أدى إلى القول بعصمة الأئمة، إذ (اتفقوا على عصمة الأئمة من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا خطأ في التأويل ولا لإسهاء من الله سبحانه)^(٦).

وقد اتخذ هذا الغلو صوراً متعددة وتطبيقات متنوعة حسب تطور الفكرة وتلاقحها، كالغلو في النبي ﷺ عند الصوفية، وبعض تطبيقات الغلو عند المعتزلة، وفي بعض الجماعات المعاصرة على نحو ما سيأتي إن شاء الله.

(1) ابن الأثير: الكامل (٣/٣٧٢ - ٣٧٣).

(2) انظر المبرد: الكامل (٣/١٢١ - ٢٩٣)؛ إذ ذكر المبرد أخبار الخوارج متتالية في ثنايا هذه الصفحات .

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٤/١٦٠).

(4) انظر الحلال: السنة (٣/٤٩٧).

(5) البغدادي: الفرق بين الفرق (٢٣٧).

(6) المجلسي: بحار الأنوار (٢٥/٢٠٩).

ب - اتجاه التفريط: فإذا كانت نصوص الوعيد في القرآن والسنة بالفهم الخاطئ غير المنضبط الذي فهمه الخوارج قد أدت إلى الغلو المشار إليه آنفاً، فعلى النقيض من هذا وقفت المرجئة بالفهم غير الصحيح لنصوص أخرى كنصوص المغفرة والشفاعة وسعة رحمة الله عز وجل حتى خرجوا إلى القول بأن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان واشتهرت مقولتهم لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة^(١).

ومن هنا خالفوا جماهير السلف من الصحابة ومن بعدهم الذين يقولون: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، قال البخاري - رحمه الله -: (لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص)^(٢)، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إلى أن بواكير هذه البدعة كان على زمن الصحابة قال: (في أواخر عهد الصحابة نبغ التكلم ببدعة القدرية والمرجئة، فردها بقايا الصحابة كابن عمر وابن عباس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد ووائل بن الأسقع وغيرهم، ولم يصر لهم سلطان واجتماع حتى كثرت المعتزلة والمرجئة بعد ذلك)^(٣)، وهذا القول من المرجئة تفريط في حق الله عز وجل، فهو يؤدي إلى (عدم طاعة الله عز وجل وعدم القيام بأحكامه وشريعته سبحانه وتعالى، وذلك عن طريق إخراج العمل عن مسمى الإيمان، ولذلك كان الإرجاء من أخطر الأفكار على العقيدة الإسلامية ... وبذلك يصبح الإنسان مؤمناً كامل الإيمان ولو لم يركع ركعة)^(٤).

ومن أخطر التحديات في مذهب المرجئة أمور:

الأول: أن القول بفصل العمل عن مسمى الإيمان مصادم للفطرة الإنسانية التي يتركز فيها التلازم والتلاؤم بين عمل الإنسان وبين معتقده وإرادته (فغني عن البيان أن نقول: إن الإنسان لا يمكن أن ينفصل عمله عن همه

(1) الرازي اعتقادات فرق المسلمين والمشركون (ص ٧٠) تحقيق: علي سامي النشار.

(2) ابن حجر: فتح الباري ٦/١، و انظر: اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٥٩) .

(3) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٤٩٠/٢٨) وفي هذا دحض للزعم بأن بداية الإرجاء كانت على يد الصحابة نزوعاً إلى موقف أكثر الصحابة من الخلاف الذي نشب بين أهل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان وأهل العراق والكوفة خاصة بقيادة علي أبي طالب رضي الله عنهما ، فإن هذا الموقف من الصحابة لا علاقة له من قريب أو بعيد بآراء المرجئة وإنما هو موقف اعتزال للفتنة وبعد عن مظان الدماء بين المسلمين ، وهو موقف محمود دل عليه الكثير من النصوص النبوية فلم يكن اعتزالهم " مجرد حياد سلمي ... بل هو موقف إيجابي شرعي يستند على النصوص الثابتة ... وهذه الحقيقة غابت عن أذهان بعض العلماء لا سيما من فقهاء العراق ومن تبعهم وكذا بعض أصحاب الأهواء قديماً ، ثم تلاهم من الحاقدين وجهلة الباحثين المحدثين الذين زادوا بأن نسبوا الصحابة للإرجاء أو نسبوا المرجئة للصحابة " . سفر الحوالي : ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ٢٤٥/١، وقد فصل الأدلة على ذلك في بحثه ص ٢٣٩ - ٢٨١ .

(4) مختار، عفاف: تناقض أهل الأهواء والبدع (١/٢٦٤).

وإرادته بحال ، إذ الأعمال ما هي إلا الأثر الظاهر للهيم والإرادة ولا يُتصور منافاتها لذلك مطلقاً^(١).
الثاني: أن مخالفته الصريحة لطريقة السلف بلغ شؤمها أن تتطور إلى فكر إباحي عند الزنادقة والشعوبية، ثم إلى تحلل تام من التكليف عند غلاة الصوفية فيما سمي عندهم سقوط التكليف، فقد ذكر الأشعري أن من النسّاك قوماً يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى مثلة تزول عنهم العبادات وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم من الزنا وغيره مباحات لهم^(٢)، وهذا كفر كما نبه شيخ الإسلام بقوله: (ومن زعم أنه قد خرج من رق العبودية إلى فضاء الحرية ... فهو كافر لا محالة)^(٣).

الثالث: ظهور اتجاه المجنون ومقارفة المعاصي دون مبالاة وشيوع ذلك في المجتمعات استرواحاً إلى هذا الفكر المشار إليه، وفي هذا ما فيه من شيوع الفاحشة وتدمير الأخلاق، وترزعزع الأمن في المجتمع .

٣ - الانحراف الفكري المتعلق بدور العقل:

مرادنا بالعقل الأداة الموجودة في الإنسان يعقل بها ويزن الأمور ويفهم النصوص، فإدراكها من حيث القوة والضعف، والصواب والخطأ كإدراك البصر في العين والذوق في اللسان^(٤)، والعقل بهذا التعريف يحتاج إلى إمكانات لتسديد حكمه وصوابه، فهو وإن كان شرطاً في معرفة العلوم، وصلاح الأعمال إلا أنه (ليس مستقلاً بذلك، لكنه غريزة في النفس وقوة فيها بمثلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها)^(٥). وهذا الاستقلال العقلي هو الذي أوقع بعض الغلاة في الضلال إذ جعلهم يقضون (بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها بحجج عقلية - بزعمهم - اعتقدوها حقاً وهي باطل)^(٦)، ولعل من أشهر الغلاة في تقديس العقل وتمجيد دوره في صدر الإسلام هم المعتزلة، فقد عارضوا الشرع بالعقل (وجعلوا هذا العقل ميزاناً يزنون به نصوص الشريعة، ومما يدل على ذلك أنهم يردون الأخبار الصحاح الثابتة عن رسول الله ﷺ تارة بالظعن وتارة بالتأويل وتارة بادعاء النسخ، وليس لديهم برهان على ذلك سوى زعمهم أنها مخالفة لقضايا العقول)^(٧). وقد جاور هذا الاعتزاز بالعقل وآزره اهتمام المعتزلة بالمنطق الأرسطي الذي شرع في ترجمته في أوائل

(1) الحوالي، سفر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي . (٢ / ٦٤٤).

(2) الأشعري، أبو الحسن: مقالات الإسلاميين (١/٣٤٤).

(3) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٨٢/٥)، في تعليقه على مذهب هذه الطائفة.

(4) انظر: ابن تيمية: درء تعارض العقل بالنقل (٤/٣٧١).

(5) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٣/٣٣٨).

(6) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٣/٣٣٨).

(7) الضويحي، علي بن سعد: آراء المعتزلة الأصولية - دراسات وتوقيعات (ص ١٨٥).

الدولة الأموية، على عهد خالد بن يزيد بن معاوية^(١) فقد ذكر الشهرستاني أن أصحاب واصل بن عطاء الذين أنضجوا مقالته بنفي صفات الباري تعالى شرعوا في ذلك بعد مطالعة كتب الفلاسفة^(٢) وبحسبنا في هذا أن النظام أحد شيوخهم يستبشع أحاديث صحيحة من جهة حجة العقل (وذكر أن جهة حجة العقل قد تنسخ الأخبار)^(٣).

ومن أهم مساوئ تقديس العقل في الفكر الاعتزالي:

١ - قاعدة التحسين والتقييح العقليين؛ فإن الأفعال في نظر المعتزلة تحسن وتقبح باعتبار ذواتها أو صفات فيها، وكلا الأمرين يدركه العقل، ومن ثم فلا حاجة للشرع في الحكم على الأفعال بالحسن والقبح، ومن هنا أوجبوا وقوع الثواب والعقاب على هذا الأساس العقلي، لا على الأساس الشرعي، فأفردوا العقل بهذا الميزان وهذا الضابط وفي هذا مدعاة وذريعة إلى (الافتيات) على الشرع والاستدراك على الله سبحانه وتعالى في التشريع، وهذا إفراط في أصلهم الفاسد، ترتبت عليه إساءات في حق الله تعالى، قال الشيخ عبدالرزاق عفيفي - رحمه الله - (وقد أفرط المعتزلة، فقالوا: إن بعثة الرسل واجبة على الله تعالى إبانة للحق وإقامة للعدل ورعاية للأصلح، وهذا مبني على ما ذهبوا إليه من القول بالتحسين والتقييح العقليين وهو أصل فاسد)^(٤).

٢ - رد أكثر السنة النبوية بناء على اتخاذ العقل وحده حاكماً على معانيها، فقبول الحديث ورده عندهم ليس لذاته وإنما لموافقة أصولهم أو مخالفته إياها، ويدل على ذلك قول القاضي عبدالجبار في حديثه عن الأخبار الواردة في الاعتقاد (وإن كان مما طريقه الاعتقادات ينظر، فإن كان موافقاً لحجج العقل قبل واعتقد موافقه، لا لمكانه بل للحجة العقلية وإن لم يكن موافقاً لها، فإن الواجب أن يرد ويحكم بأن النبي لم يقله...) ^(٥)، ويستوي في هذا عندهم الصحابة وغيرهم، فهذا النظام يرد حديث ابن مسعود رضي الله عنه في انشقاق القمر^(٦) فينسب الصحابي الجليل إلى الكذب بقوله: (وزعم أن القمر انشق وأنه رآه، وهذا من الكذب لا خفاء به

(1) النشار، علي سامي: مناهج البحث عند مفكري الإسلام: (ص ٣١).

(2) الشهرستاني: الملل والنحل (٤٥/١).

(3) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث (ص ٤٢ - ٤٣).

(4) عفيفي، عبدالرزاق: مذكرة التوحيد ص ١٥٢. وقد اقتصرنا هنا على آثار التحسين والتقييح العقليين عند المعتزلة ولـوازم هذا القول لما لها من تداعيات فكرية عند المعتزلة قديماً وحديثاً، دون الدخول في تفاصيله ومدى موافقة علماء السنة أو مخالفتهم إياه، فقد عرض لهذه التفاصيل الدكتور علي بن سعد الضويحي في كتابه آراء المعتزلة الأصولية ص ١٨١ - ١٩٧.

(5) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة (ص ٧٧٠).

(6) أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة - باب انشقاق القمر ح ٣٦٥٦، ومسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم

- باب انشقاق القمر ح ٢٨٠٠. من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(١)...

٣ - تصورهم عن الله سبحانه وتعالى ووصفهم إياه على مقتضى عقولهم، فهم يجعلونه مجرداً من الصفات التي تليق به سبحانه وتعالى والتي وصف بها نفسه بما في كتابه، فهم يرون أن هذه الصفات هي أسماء مجردة لا تدل على صفة حقيقية لله تعالى، يقول ابن المرتضى: (أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدثاً قديماً عالملاً حياً لا لمعان^(٢))، فهذه الصفات عندهم ليس لها معانٍ، أي: ليس لها تعلقات كما تتعلق الأفعال بالصفات، ولا هي قائمة بذات الله تعالى قياماً حقيقياً، وهذا جارٍ على مذهبهم فيما سموه التوحيد، المتمثل عندهم في ألا يتعدد القدماء^(٣) فإذا كانت الصفات الإلهية قديمة فقد اجتمع بزعمهم القدماء -وهو مرادهم بالشرك- ولا شك أن في إنكار الصفات تهوين شأن الله تعالى، وتشبيهه له بالعدم^(٤) وإذا هان الله سبحانه وتعالى في النفوس ضعفت المراقبة أو انعدمت ونتج عن ذلك من الخلل في الأداء الإنساني بمقدار وجود الخلل في المعتقد.

ومن هنا يتبين أن منهج المعتزلة ينطوي على خطورة حقيقية تتحدى المنهج الإسلامي في التفكير، وتسلك طريقاً يقدس العقل ويضع المصطلحات المخالفة لما تعارف عليها المسلمون، فليس التوحيد عندهم هو التوحيد الذي عرفه صحابة النبي ﷺ، وهو أفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والتدبير والرزق، ثم إفراده بالعبادة، ثم وصفه بما وصف به نفسه من صفات الكمال وتزيهه عن صفات النقص، وإنما يتلخص التوحيد عندهم في قوله باستحالة تعدد القدماء، وهو تعريف يتنكر لصفات الله عز وجل وعلمه وما يتعلق بها من تعلقات اعتقادية وإيمانية، وكذلك القول في مصطلح العدل وغيره من المصطلحات^(٥)، فهو يمثل انقلاباً في منهج التفكير يغيّر أصوله الراسية ويححو معلمه الأساسية، وقد ذاق الأمة بعض ثماره المرة من عصر المأمون إلى عصر الواثق حيث عذّب خيار العلماء، سعيّاً في نشر القول بخلق القرآن وتمهيداً لنشر غيره من المعتقدات بين عامة المسلمين.

ومن أسف أن أصول الفكر الاعتزالي - من تمجيد للعقل وردٍ للنصوص - ما تزال آثارها فاشية في أوساط من يسمون بالمتقنين والتنويريين في واقعنا المعاصر وهذا يمثل التحدي الحقيقي في تجربتنا الحضارية كما سيأتي، فأصول الانحراف الفكري الذي واجهه المجتمع الإسلامي الأول هي الأصول نفسها التي تكررت صورها في التاريخ الإسلامي والتي تحتاج إلى وقفة متأنية لتشخيصها والتعرف على مداخلها ومحاورها وأساليب علاجها.

المبحث الثاني: مداخل هذه التحديات ومحاورها:

- (1) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث (ص ٢١). وهذا عنده (بخس لعلم النبوة وإكذاب للقرآن العظيم).
- (2) ابن المرتضى: المنية والأمل (ص ١٣).
- (3) السفاريني: لوامع النوار البهية ٢١٧/١.
- (4) ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل (٢٨٣/٣) وانظر: السفاريني: لوامع الأنوار البهية (٢٥/١) و (١٠١/١).
- (5) انظر: القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة (ص: ٣٠١).

تبينت ملامح التحدي الفكري للعقائد المنحرفة، وبرزت أخطارها على الواقع الإسلامي من جوانب متعددة من خلال التعريف بها في المبحث السابق، وكلها نبتت في صدر الإسلام ثم تطورت وتنامت على مر التاريخ، ويطرح التساؤل نفسه، كيف كان لها هذه الآثار المشار إليها مع أنها أفكار غريبة على التربية الإسلامية ومكُوناتها؟ والجواب: أن أصحاب هذه الأفكار المنحرفة لم يكونوا مجرد أفراد في الكيان الإسلامي وإنما تكونت منهم جماعات لها أنظمة فكرية وإدارية وانتماءات وطموحات وأهداف تخطط للوصول إليها وتدرس كفاءات ذلك ومقوماته، ولعل تسمية النبي ﷺ لها باسم (الفرق)^(١) فيه إشارة واضحة إلى هذه المعاني، الحد فالظاهر من الحديث أن الفرقة تجتمع عضوي يجمعه فكر واحد، يلتقي عليه أفراد ينتهجونه ويعملون في سبيل تحقيقه، وهذا ما يشهد به الواقع العملي، فقد حارب الخوارج، من أجل فكرهم وامتنح المأمون أهل السنة وحبس علماءهم وعذبهم من أجل قضية خلق القرآن، ومن هذا يُعلم أن التخطيط من أجل إحلال هذا الفكر المنحرف وإشاعته قد شكّل هماً واضحاً لأصحاب هذه الفرق، ويمكن تلخيص أهم مداخل أصحاب هذه الأفكار للوصول إلى أهدافهم من نشر الفكرة ونصرها فيما يلي:

١ - المدخل العاطفي: الذي يستغل العاطفة سواء كانت دينية أو قبلية أو غيرها في استمالة النفوس إلى الفكرة، ولعل من الأمثلة على ذلك الصيحة الذي أطلقها عروة بن أذية التميمي رأس الخوارج الأول وهي قوله: (أتحكمون الرجال في دين الله)^(٢)، ولا شك أن هذه العبارة فيها إلهاب للعواطف التي تميل إلى تعظيم حكم الله سبحانه وتعالى واستصغار حكم غيره بالنسبة إليه خصوصاً إذا كان أصحابها لا تضبطهم الضوابط العامة في الإسلام، ويفتقرون إلى التعقل والحكمة ووزن الأمور بميزانها الصحيح الذي تتكامل عناصره وتتآزر . وفي الإطار نفسه نجد غلاة الشيعة يستغلون عاطفة الحب لآل بيت النبي ﷺ في استمالة الناس إلى مذهبهم، ومن استدرار العواطف القيام بأعمال مما يعجب الناس وتميل إليه فطرتهم وعواطفهم ككثرة العبادة عند الخوارج، وطول قيامهم، مع تفانيهم في القتال وشجاعتهم فيه، وقد وصفهم النبي ﷺ بقوله: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم)^(٣).

(1) وذلك في قوله: ((...وتفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة...)) الحديث. وقد أخرجه أبو داود: كتاب السنة - باب شرح السنة ٤٥٩٨، والترمذي: كتاب الإيمان - باب افتراق الأمة ح ٢٦٤٠، وابن حبان في صحيحه: كتاب التاريخ - باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما سيكون من أمته ح ٦٧٣١. وصححه الألباني في الصحيحة ح ٢٠٣.

(2) انظر ابن المطهر: البدء والتاريخ (٥ / ٢٢١) .

(3) أخرجه البخاري: كتاب استتابة المرتدين - باب قتال الخوارج ح ٦٥٣٢، ومسلم: كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح ١٠٦٤، وقد مر آنفاً. وقد حذر من الاغترار بهذه الصفات محمد بن الحسين فقال: " فلا ينبغي لمن رأى

٢ - المدخل البيئي: وهو استغلال البيئة والظروف من وجه ما لجذب الناس إلى الفكرة المبغى نشرها ونصرها، كاستغلال قتلة عثمان رضي الله عنه الظروف المحيطة، والتي تتمثل في انتقاد بعض الصحابة لبعض تصرفات الولاة في عهد عثمان رضي الله عنه ونقمة بعضهم على بعض مظاهر الترف، وكذلك مخالفة بعض الصحابة لبعض اجتهادات الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه في أمور إدارية أو غيرها^(١).

وهنا يبرز دور الشائعات وتضخيم الأمور استغلالاً للفرصة وتعظيماً للقاله والفتنة؛ فقد بدأ هؤلاء الخوارج يتزيدون على عثمان رضي الله عنه ويعيبونه بما ليس عيباً كتخلفه عن بيعة الرضوان مع ثبوت أن النبي ﷺ بايع عنه في هذا اليوم (وذلك أن النبي ﷺ بعثه رسولاً إلى أهل مكة لما اختص به من السؤدد والدين ووفور العشرة، وأخبر النبي ﷺ بقتله فبايع رسول الله ﷺ والمسلمون له)^(٢)، وقد جاء إلى ابن عمر رجل يسأله عن تغيب عثمان عن بيعة الرضوان، فأجابه بما يشفي العليل ويروي الغليل قال: (وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان ف ضرب بها على يده)^(٣)، ومع ذلك فقد فشلت مثل هذه المقالات بين ضعاف النفوس لينضموا إلى المفسدين في جريمة قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه.

٣ - المدخل النفعي: وهو مدخل لا يغفل، فحب الشهرة أو المال، أو غيرها من المنافع موجود في البشر، وقد استغله أصحاب هذه المطامع لاستدراج الناس إلى مناصرتهم، فهاهم أصحاب عبدالله بن مطيع في أثناء خروج أهل المدينة على يزيد وواليه يتجهون إلى محمد بن الحنفية وهو كبير آل البيت في وقته، يستدرجونه إلى خلع يزيد مشاركة في الفتنة مثنين إياه بالالتفاف حوله، وذاكرين له بعض الشائعات التي ذكرت عن يزيد من شرب الخمر وترك بعض الصلوات، إلا أن محمد بن الحنفية أبي عليهم ذلك حتى قالوا له: (فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك، فنحن نوليك أمرنا، قال: ما أستحل القتال على ما تريدوني عليه تابعاً ولا متبوعاً)^(٤)، فهذا

=

اجتهاد خارجي قد خرج على إمام عدلاً كان الإمام أو جائراً... أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه بالصلاة، ولا بدوام صيامه ولا بحسن ألفاظه في العلم... "الآجري: الشريعة (ص: ٢٨).

(1) ومن أمثلة ذلك موقف أبي ذر الغفاري من افتتاح الدنيا وكثرة النفقات خصوصاً من أهل الشام. يراجع البخاري: كتاب الزكاة - باب من أدى زكاته فليس بكثر ح ١٤٠٦، وشرح الحافظ بن حجر له، وكذلك موقف ابن مسعود رضي الله عنه من جمع عثمان رضي الله عنه المصحف وتعبه على ذلك راجع: ابن كثير: البداية والنهاية (٢١٨/٧)، وإن كان ابن كثير نفسه يقرر أن ابن مسعود قد رجع إلى المتابعة وترك المخالفة.

(2) أبو نعيم: الإمامة (ص ٣٠٤).

(3) البخاري: كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عثمان رضي الله عنه ح ٣٦٩٨.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية (٢٢٠/٨).

المدخل النفعي الذي أراد أن يدخله أتباع ابن الأشعث وابن مطيع لاكتساب رأس من رؤوس البيت النبوي كمحمد بن الحنفية في صفهم، لم يغر هذا الرجل الواعي إلا أن هذا المدخل ظل مسجلاً عبر التاريخ، وهو يتكرر ويتجدد، وينجح أصحابه في بعض الأحيان إن غابت الفطنة وزاد حب الدنيا في النفوس .

والملاحظ على أصحاب هذه الأفكار أنهم استخدموا في مداخلهم المشار إليها أداتين مهمتين في التأثير وهما: الشبهة والسائغة، فقد استغلت الخوارج والمعتزلة وغلاة الشيعة شبهات تقوم على فهم معوج للنصوص الشرعية في استدلال العواطف إما تجاه الولاة أو تجاه عقيدتهم وطريقتهم، كما استغل الخارجون على عثمان والخارجون على يزيد مجموعة من الشائعات، وروّجوها لتكون أداة لهم في جمع الناس للخروج مستغلين العواطف والمصالح في هذا الاتجاه.

أما المحاور التي دار فيها أصحاب الفكر المنحرف وتبلور فيها جهدهم لنصرة مذاهبهم فيمكن تحديدها في محورين أساسيين هما:

١ - محور فكري عقدي: وهو يمثل القلب الذي تُصب فيه الفكرة، وطريقة الاستدلال عليها، وقد مرت صياغة أفكار هذه الفرق بمراحل تطورت فيها الفكرة، والتأمت جوانبها ابتداءً من إطلاق الصحبة الأولى التي تمثل شرارة المخالفة إلى صياغة الفكر على شكل بنود وأدلة وردود ومناقشات .

وإذا اتخذنا الفكر الاعتزالي مثلاً، فقد بدأ بكلمة قالها واصل بن عطاء في مرتكب الكبيرة خاصةً وهي قوله: (إنه ليس بمؤمن ولا كافر ولكنه في منزلة بين المنزلتين)^(١)، إلا أنه تطور حتى أصبحت هذه الكلمة قاعدة وأصلاً من أصول خمسة ينظر بها المعتزلة مذهبهم ويدافعون عنها ويجادلون عنها. وقد اتسم هذا المحور العقدي عند أصحابه بسمات يحسن ذكرها لأهميتها في تشخيصه والإفادة من هذا التشخيص في كل تجربة حضارية وهي:

١ - التأثيرية وغياب المنهجية: ففكر الخوارج نبع من ردة فعل لأحدهم تجاه قضية التحكيم بدون نظر منهجي في الأمر، إذ خرج عروة بن أدية فتزل عن دابته وضرب بسيفه عقب دابته معلناً أنهم يحكمون الرجال في دين الله مدوياً بقوله تعالى ((إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ)) [الأنعام: ٥٧]^(٢) وهذا تسرع في الحكم غابت فيه منهجية الدراسة واتزان الدارس مع أن القضية عظيمة لأنها متعلقة بطائفتين عظيمتين من المسلمين، ولذلك لما أعادهم ابن عباس رضي الله عنهما إلى هذه المنهجية في مناظرته إياهم حول التحكيم رجع كثير منهم^(٣) .

(1) البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية (ص ٩٨).

(2) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٢٦٤/٧.

(3) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٧ / ٢٦٦) .

٢ - اتباع الشبهات والخلل في فهم النصوص: فقد تركوا المحكم الواضح الدلالة من القرآن والسنة ونزعوا إلى المتشابه، واتبعوا الشبهات، وقد وصفهم الله عز وجل من أجل ذلك بزيغ القلوب فقال: ((فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)) [آل عمران: ٧] وقال الرسول ﷺ: (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)^(١) فالآية (معني بها كل مبتدع في دين الله بدعة، فمال قلبه إليها تأويلاً منه لبعض متشابه آي القرآن ثم حاج به وجادل به أهل الحق، وعدل عن الواضح من أدلة آيه المحكمات ... كائناً من كان وأي أصناف المبتدعة كان، من أهل النصرانية كان أو اليهودية أو المجوسية أو كان سبياً أو حرورياً أو قدرياً أو جهمياً)^(٢) .

٣ - غياب الوسطية والاعتدال: ويتمثل هذا في جلّ عناصر مذهبهم من تغليب للمتشابه على المحكم أو الغلو في الإفراط أو التفريط أو المغالاة في دور العقل على نحو ما سبق، ويضاف إلى ذلك التعصب للفكرة وقلة استجابة رؤوسهم للحق إذا جاء من غيرهم، فهاهو أبو محمد بن يوسف السوري يُدِلُّ بمناظرات المعتزلة بقوله:

ما ملة فوق ظهر الأرض من ملل
إلا تهيّب عن تسأل معتزل
قوم إذا ناظروا صالوا بعلمهم
صول البزاة على الدارج والحجل^(٣)

٢ - محاور سلوكي عملي: وهو النتيجة الحتمية لأغلب الأفكار المنحرفة، وهو أيضاً يمر بمراحل يتطور خلالها حتى يتشكل في صورة تخطيط وتنظير للتنفيذ ومتابعة له، وإذا اتخذنا غلاة الشيعة مثلاً نلاحظ أنهم بدأ أمرهم العملي بمجرد مناصرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فالحسن ثم الحسين من بعده ، إلا أن هذا السلوك تطور إلى الخروج على كل والٍ مسلم لا يكون من آل البيت عدلاً كان أم جائراً، إذ جعلت الإمامة أساساً عقدياً ومقياساً إيمانياً وجعل شرطها أن يكون من آل البيت، ومن هنا بدأت ثورتهم على كل خليفة عدلاً كان أم جائراً . وقد اتسم المحاور السلوكي العملي لأصحاب الأفكار المنحرفة بسمات أهمها:

١ - السعي في إسقاط العلماء والولاة بتشويه صورهم أو الغض من شأنهم: فمنذ عصر الصحابة سعى المنحرفون في إسقاط هيبتهم العلمية بل وعدلتهم، فهذا نافع بن الأزرق أحد رؤوس الخوارج يحاول إحراج ابن عباس رضي الله عنهما فيترصد له في مجالسه بغية زعزعة مكانته العلمية، فقد حدث ابن عباس رضي الله عنهما

(1) أخرجه البخاري: كتاب التفسير - باب سورة آل عمران ح ٤٢٧٣، ومسلم: كتاب العلم - باب النهي عن اتباع

متشابه القرآن ح ٢٦٦٥، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(2) الطبري: جامع البيان (٦/ ١٩٨).

(3) ابن المطهر: البدء والتاريخ (١٤٤/٥).

أن سليمان بن داود كان يستخدم الهدهد ليدله على الماء في الأرض، فقال له نافع: ألا تخاف الله يا ابن عباس؟ قف، قف، أو تقول إن الهدهد يعرف مسافة الماء في الأرض وهو ينصب له الفخ، ويذر عليه من التراب مثل الحريرة، ثم يجيء حتى يأخذ الفخ بعنقه؟ فيدرك ابن عباس أنه أراد إحراجه وزعزعة هيئته العلمية يظهر ذلك من إجابته بقوله: يا وقاف، أردت أن تقول: قال ابن عباس كذا وكذا . وقلت: كذا وكذا، قاتلك الله، إن البصر ينفعك ما لم يأت القدر، فإذا جاء القدر، حال دون البصر^(١) ويقال مثل هذا في المعتزلة إذ اشتهر عنهم التقليل من شأن الصحابة رضوان الله عليهم فقد فسقوا المعسكرين، معسكر علي رضي الله عنه ومعسكر معاوية رضي الله عنه، وكذلك أصحاب وقعة الجمل مع أن فيهم بقية المبشرين بالجنة، قال واصل بن عطاء: (لو شهد علي وطلحة علي حكم لا أحكم بشهادتهما...) ^(٢)، قال السمعاني: (وفي هذا تصريح بفسق الفريقين وكونهما من أصحاب النار، وكان واصل يفسق أحد الفريقين، وكلاهما فسقة عند عمرو) ^(٣)، وقد ذكر ابن قتيبة أمثلة واضحة على هذا الأمر وقد سبقت الإشارة إلى طرفهم في إسقاط ولاية المسلمين كالخليفة عثمان رضي الله عنه، ويلحق بهذا محاولة الرافضة تشويه صورة أئمة المسلمين كأبي بكر وعمر ومعاوية وغيرهم ^(٤).

٢ - الحرص على مواقع التأثير والوجه الإعلامي: فعلى الرغم من أن كثيراً من هذه الأفكار تشتمل على معارضة واضحة للولاية، وجدنا الكثير منهم يحاول الانخراط في المناصب التي تكفل لهم وجاهة وتأثيراً، فالمعتزلة مثلاً (راحوا يلقون على الخلفاء شباكهم، وينسجون حولهم حبالهم) ^(٥)، فقد التفوا حول يزيد بن الوليد بن عبد الملك حتى ألقموه فكرهم الاعتزالي، ذكر الطبري (أن يزيد بن الوليد كان قدرياً) ^(٦)، وروى الذهبي عن الشافعي أنه حين ولي الخلافة دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه ^(٧)، بل يذكر المسعودي أن المعتزلة كانوا من أهم مسانديه في خروجه على الوليد بن يزيد، فقتلوه وولي يزيد مكانه ^(٨)، وقد ظل المعتزلة يتدخلون

(1) الفريابي: القدر (ص: ٢٧٠ - ٢٧١). وقد تكرر هذا منه. انظر: المبرد: الكامل في اللغة والأدب (١٦٩/٣).

(2) السمعاني: الأنساب (٢٣٩ / ٤).

(3) السمعاني: الأنساب (٢٣٩ / ٤).

(4) البغدادي: الفرق بين الفرق (ص: ٢٥). وانظر الصلابي: فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة (ص: ١٩٧).

(5) زهدي حسن جار الله: المعتزلة (ص ١٥٨).

(6) انظر: الطبري تاريخه ٢٧٠/٤.

(7) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٣٧٦/٥).

(8) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر (٢٢٦/٣).

في شؤون الحكم في عهده تدخلاً فعلياً حتى آخر حياته، إذ حثّوه على أخذ البيعة لأخيه إبراهيم ثم لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بعد إبراهيم، قال الطبري: (فلم تزل القدرية يحثونه على البيعة ويقولون له: إنه لا يحل لك أن تحمل أمر الأمة فبايع لأخيك، حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده)^(١)، وظل هذا السلوك واضحاً عندهم، ولعل تقربهم إلى المأمون وإشراجه مذهبهم كان العامل الأول لتسلطه هو وأخويه المعتصم والواثق على الناس وإجبارهم على القول بخلق القرآن كما هو مشهور^(٢).

ولم يكن الزنادقة أقل من المعتزلة حرصاً على هذا الأمر وتسلاً إليه، فقد وصل عبد الصمد بن عبد الأعلى إلى أن يكون مريباً لأبناء الخلفاء، كالوليد بن يزيد بن عبد الملك، الذي صار خليفة وكثر فسقه حتى خرج عليه وقتل كما سبق، وقد ذكر الطبري وابن الأثير أن سبب فسقه ومجونه مؤدبه، قال الطبري: (حتى ظهر من الوليد بن يزيد مجون، وشرب الشراب، حمله على ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى أخو عبدالله بن عبد الأعلى وكان مؤدب الوليد^(٣))، وكذلك الجعد بن درهم الذي وصل لأن يكون مريباً لمروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، حتى نُسب إليه، فكان يقال: مروان الجعدي، قال ابن النديم (وكان مؤدباً له ولولده، فأدخله في الزندقة... وكان مروان الجعدي زنديقاً)^(٤).

ومن الوسائل التي تعد سمات للجانب العملي عند أصحاب هذه الأفكار محاولة الوجود الإعلامي، عن طريق وسائل الإعلام المتاحة حينئذ كالشعر والخطابة التي كانت تكفل لفكرهم الذبوع والانتشار، فالشيعة مثلاً كانوا حزباً له (شعراؤه الذين دافعوا عنه، وأعلنوا مبادئه، ووقفوا في وجوه خصومه... ويدور قسم من شعر هؤلاء الشعراء في الدفاع عن نظرية الحزب السياسية والاحتجاج لها وتقرير مبادئها)^(٥)، ويكفي للتمثيل لذلك ما قال الكُميت في قصيدته البائية المشهورة معارضاً لنظام الوراثة الأموي، ومعتبراً أن الوراثة الصحيحة هي في بني هاشم، قال:

وقالوا ورثناها أبانا وأمنّا وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
ولكن مواريث ابن آمنة الذي به وإن شرقي لكم ومغربي^(٦)

وأما الخوارج فلهم شعر يؤيد مذهبهم ويشيد به وبالمنتسبين إليه حتى جعله الدكتور إحسان عباس نموذجاً

(1) الطبري: تاريخ الأمم والرسول والملوك (٢٧٠/٤).

(2) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٣٥٨/١٠).

(3) الطبري: تاريخه (٢٢٢/٤).

(4) ابن النديم: الفهرست (ص ٤٧٢).

(5) أحمد، محمد عبد القادر: دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي (ص ٣٨ - ٣٩).

(6) الكُميت: ديوانه (ص ٥٢٤).

للتلازم الكامل أو شبه الكامل بين الفن والعقيدة^(١)، فمن ذلك قول قيس بن عبد الله الضبي الملقب بالأصم:

إني أدين بما دان الشراة به يوم النخيلة عند الجوسق الحرب
النافرين على منهاج أولهم من الخوارج قبل الشك والريب
قوماً إذا ذُكروا بالله أو ذكروا فروا من الخوف للأذقان والركب
ساروا إلى الله حتى أنزلوا غرماً من الأرائك في بيت من الذهب^(٢)

كما أن خطبهم أكثر إذاعة لمذهبهم ودفاعاً عنه، وقد احتفظت كتب الأدب بجملة من أسماء أشهر خطبائهم كقطري بن الفجاءة ونافع بن الأزرق وأبي حمزة الشاري وغيرهم، حتى أفرد الجاحظ خطباء الخوارج بالذكر في البيان والتبيين^(٣)، وتدور خطبهم في محور الحث على القتال والصلابة فيه والتزهيد في الدنيا معتمدين على استثارة العواطف بالأسلوب القوي ما بين وصف وترغيب وتهديد، ومن ذلك خطبة أبي حمزة الشاري يصف بها أصحابه بقوله: (شباب والله مكتهلون في شبايم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة، وأطلاء سهر، فنظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلاهم على أجزاء القرآن ... قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ...، حتى إذا رأوا الهام قد فوقت، والرماح قد أشرعت، والسيوف قد انتضيت،... استخفوا برعيد الكتبية لوعده الله، ومضى الشاب منهم قدماً حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه وتخضبت بالدماء محاسن وجهه)^(٤)، وخطبته في أهل المدينة التي يبين فيها محاسن مذهبهم وتميزهم على عامة المسلمين، ثم يحذرهم من موالاة مروان بن الحكم أمير المدينة فيقول: (... وأنتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله عز وجل بعذاب من عنده أو بأيدينا ...)^(٥)

٣ - الاستعانة بالعناصر الأجنبية:

دور العناصر الأجنبية في نشوء الفرق وتطور فكرها واضح مذكور في كتب الفرق والتاريخ، حتى عده ابن حزم (الأصل في خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام)^(٦)، وأما تدخل هذه العناصر الأجنبية وسعيها العملي في إعانة أصحاب هذه الأفكار على نشر فكرهم ودعمهم في سلوكهم المخالف للمنهج الصحيح، كخروجهم على الولاة المسلمين وإشاعة الفتن والقلاقل والاضطرابات، فلعل السبئية من أظهر النماذج في هذا الأمر،

(1) عباس، إحسان: شعر الخوارج (ص ٤).

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) الجاحظ: البيان والتبيين ٩٠٦/٣ فما بعدها.

(4) ابن قتيبة: عيون الأخبار (٢٨٨/١).

(5) الطبري: تاريخه (٣٢٩/٤).

(6) ابن حزم: الفصل في المل والأهواء والنحل (٢٧١/٢).

فعبداً بن سبأ يهودي الأصل من أهل الحيرة^(١) ، وربما كان أصله ينسب إلى يميناً كما ذكر ابن عساکر^(٢) ، سكن أرض الروم وانتقل منها بعد إظهار إسلامه إلى العراق ، قال ابن كثير: (وكان أصله رومياً فأظهر الإسلام وأحدث بدعاً قوليةً وفعليةً قبّحه الله)^(٣) ، ويستنتج من هذا أن أصله كان أجنبي الدين ، ثم هو أجنبي الوطن .

ويعد ابن سبا أصل الفتنة التي حدثت بمقتل عثمان رضي الله عنه فقد رحل إلى مصر بعد جولة في الحجاز ثم البصرة والكوفة ثم الشام ، وفي مصر بدأ تكوينه لخلية الفتنة وتديره الماكر الذي استمر رديحاً من الزمن^(٤) ، فيمكن تلخيص الدور الأجنبي في حدوث الفتنة ابتداءً من دور الهرمزان الجوسي ، وجفينة النصراني ، في مؤامرتهم على حياة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم امتداداً للتآمر اليهودي متمثلاً في عبداً بن سبأ وجماعته التي حاكت خيوط المؤامرة في مصر إذ ينقل الطبري وصفها بقوله: (فبث دعائه ، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولائهم ... ويكتب أهل كل مصر إلى مصر آخر بما يصنعون ... حتى تناولوا في ذلك المدينة ، وأوسعوا الأرض إذاعة)^(٥) ، وكانت نتيجة ذلك أن خرج أهل هذه الأمصار إلى المدينة ليحاصروا الخليفة عثمان بن عفان في داره حتى قتلوه^(٦) .

ويتضح مما سبق أن هذين المحورين الفكري والسلوكي متكاملان في صياغة أفكار الجماعات المنحرفة ، ورسم منهجها السلوكي المتوافق مع هذه الأفكار كما تبين ملامح وسمات هذين المحورين وهي سمات تتكرر عبر التاريخ في أثواب مختلفة .

المبحث الثالث: وسائل مواجهة هذه التحديات وأساليبها:

إن الوقوف في وجه هذه الأفكار كان واجباً دينياً مع كونه ضرورة أمنية فلقد تصدى ولاية الأمر من العلماء والولاة لهذا الخطر بالوسائل الممكنة ، لم يدخروا في ذلك وسعاً منذ بداية الفكرة إلى تطورها واتخاذها أشكالاً سلوكية ، ومن خلال ذكر الوسائل التي اتخذها أولوا الأمر في هذه المواجهة يتبين مدى تيقظهم لهذه الأفكار وتنبيههم لغاياتها ومقاصدها ، وتتلخص أهم هذه الوسائل فيما يلي:

(1) البغدادي: الفرق بين الفرق (ص ٢٢٥).

(2) ابن عساکر: تاريخ دمشق (٣/٢٩).

(3) ابن كثير: البداية والنهاية - الرياض (١٩٠/٧). وقد ذهب إلى ترجيح هذا الدارسين سعيد الأفغاني وأنور الجندي.

يراجع: سليمان العودة: عبداً بن سبأ وأثره في أحداث الفتن في صدر الإسلام ص ٤٠.

(4) يراجع في ذلك: العودة، سليمان: عبداً بن سبأ (ص ٤٨ - ٥٣).

(5) الطبري، تاريخه (٦٤٧/٢).

(6) انظر الطبري: تاريخه (٦٥٢/٢).

١ - الوقاية العلمية: وهي تعد أنجع الوسائل وأهم الطرق الوقائية إذ أنها توصل الفهم الصحيح وتركزه في القلوب، وتغرس مبادئه ومقوماته في نفس المسلم بحيث يشكل جسماً علمياً مضاداً لأي فكر منحرف، ومن هنا جاء اهتمام الصدر الأول بتعليم الناس القرآن والسنة، وإرشادهم إلى الفهم الصحيح له، أدرك ذلك العلماء والأمراء، فعمر بن الخطاب يرسل إلى أهل الكوفة عماراً وابن مسعود وقد كتب إليهم (إني قد بعثت إليكم عماراً أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً... فاسمعوا لهما وأطيعوا)^(١)، فهذا تنصيب رسمي من عمر بن الخطاب لابن مسعود معلماً، وفي الشام يدرك يزيد بن أبي سفيان أهمية المعلمين لكتاب الله عز وجل لكثرة الناس واحتياجهم إلى المعلم فيرسل بذلك إلى عمر بن الخطاب، ويحييه عمر بثلاثة من علماء الصحابة وهم معاذ وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء أحدهم بحمص والآخر بفلسطين والثالث بدمشق^(٢)، وهذا ابن عباس حبر الأمة يتصدر مجلس تفسير القرآن في مكة، وأبي بن كعب في المدينة، وعبدالله بن مسعود بالعراق وكان لكل منهم تلامذتهم الذين أثروا عنه العلم وكانوا من بعده ملاذاً لطلاب العلم، ومفزعاً للناس في الملمات^(٣)، وكثرت حلقات العلم، واشتد الإقبال على أهله بعد صحابة النبي ﷺ، فعقدت حلقة زيد بن أسلم في المسجد النبوي بالمدينة يأخذ عنه خاصة أهل العلم، قال أبو حازم الأعرج: (لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهاً...)^(٤).

ومن أهم سمات هذه المجالس العلمية تصدر العلماء المجتمع عليهم، وذلك أضفى عليها طابع الفائدة والتوحد وعدم الاختلاف، قال أبو مسلم الخولاني (أتيت مسجد دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب النبي ﷺ وإذا شاب فيهم أكحل العين براق الثنايا كلما اختلفوا في شيء ردوه إلى الفتى قال: قلت لجليس لي: من هذا؟ قالوا: معاذ بن جبل)^(٥)، وقد علّم هؤلاء العلماء أبناء الأمة دينهم، وحثوهم على تعلم السنن والتزام طريقة السلف وحذروهم من الأهواء والعقائد الفاسدة والأفكار الضالة، من ذلك قول عبدالله بن مسعود لأصحابه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)^(٦)، وقول الأوزاعي: (ندور مع السنة حيث دارت)^(٧) وقول ابن

(1) أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة (٢/٨٤٢).

(2) ابن سعد: الطبقات (٢/٣٥٧)، والذهبي: سير أعلام النبلاء (٣/٣٠١).

(3) راجع لهذه المدارس وتفصيلها: الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون (١/٧٦ - ٩٥).

(4) الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء (٥/٣١٦).

(5) ابن الجوزي: صفة الصفوة (١/٤٩٠).

(6) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/٨٦).

(7) اللالكائي: المصدر السابق (٢/٨٦).

سيرين: (ما كان الرجل مع الأثر فهو على الطريق)^(١)، و قال أبو الزناد: (كان الرجل لا يعد رجلاً حتى يعرف السنة)^(٢)، كما فطن هؤلاء العلماء إلى ما يخدع البعض في أهل البدع، فقد ذكر عند عبدالرحمن بن مهدي قوم من أهل البدع واجتهادهم في العبادة، فقال: لا يقبل الله إلا ما كان على الأمر والسنة، ثم قرأ: "ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم" قال: فلم يقبل ذلك منهم ووبخهم عليه)^(٣)، ومن هنا يتضح موقف العلماء في تعليم الناس دينهم وسنة نبيهم وطريق سلفهم وتحذيرهم الشديد من البدع والأفكار المنحرفة والتبرؤ من فكرهم بوضوح تام، كما قال مجاهد حينما سُئل: إن لنا أصحاباً يزعمون أن إيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد (يعني المرجئة) فقال: ما هؤلاء بأصحابي، لا يجعل الله من هو منغمس في الخطايا كمن لا ذنب له)^(٤).

٢ - البيان والتوصيف: ويتمثل في بيان الفكرة المنحرفة والتعريف بها وإيضاحها، حتى يعرفها الناس فيتقوها، وقد كان الناس يسألون العلماء عن هذه الأهواء منذ نشأت، فهذا رجل يأتي لابن عباس رضي الله عنهما، فيسأله فيقول: (أخبرني من القدريّة فإن الناس قد اختلفوا عندنا بالمشرق، فأجابه ابن عباس: (القدريّة قوم دينهم الكلام، يقولون: إن الله لم يقدر المعاصي على خلقه، وهو معذبهم على ما قدر عليهم، فأولئك هم القدريّة)^(٥)، ويعرف الحسن البصري - رحمه الله - بهم في تفسيره لقوله تعالى: ((وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ)) [الزمر: ٦٠] قال: هم الذين يقولون: الأشياء إلينا، إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل)^(٦)، ولا يخفى ما امتزج به تعريف الحسن بالقدريّة من إشارة إلى خطرهم وسوء عاقبتهم، وهذا الشافعي - رحمه الله - يميز بين ثلاثة من أصحاب الفكر المنحرف: الرافضة والقدريّة والمرجئة، فيقول: (من قال: الإيمان قول، فهو مرجئ، ومن قال إن أبا بكر وعمر ليسا إمامين فهو رافضي، ومن جعل المشيئة إلى نفسه، فهو قدري)^(٧) وعلى هدى التعريف بهذه الفرق وبيان فساد رأيها تعرف الأمة أوصافها فتحتنبها .

ومثل هذا أيضاً التعريف بأعيان أصحاب البدع الدعاة إليها لخطورتهم خصوصاً إذا عُرفوا في الناس واشتهروا في مواقع اجتماعية، أو إعلامية، أو خُدع الناس بهم فخشي أن يلتفوا حولهم، فأبو بكر بن أبي شيبة ينكر على أصحابه ترددهم على إسماعيل بن موسى الفزاري، وكان متهماً بالرفض ويقول لهم: أيش عملتم

(1) ابن بطّة: الشرح والإبانة (١٦١) .

(2) أبو نعيم: الحلية (١٨٤/٢) .

(3) أبو نعيم: الحلية (٨/٩) .

(4) الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء (٥٥٤/٤) .

(5) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤٩٤/٤ - ٤٩٥) .

(6) ابن بطّة: الإبانة (١٨٣/٢) .

(7) الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء (٣١/١٠) .

عند ذلك الفاسق الذي يشتم السلف^(١)، فقد كان عمرو بن عبيد رأساً في الاعتزال وربما خُدع به لترهده وتأله فدعا ذلك العلماء إلى التحذير منه وشهره، قال عاصم الأحول: جلست إلى قتادة، فذكر عمرو بن عبيد، فوقع فيه ونال منه، فقلت له: يا أبا الخطاب، ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض فقال: يا أحول، ألا ترى أن الرجل إذا ابتدع بدعةً فينبغي أن تذكر حتى تحذر^(٢)، وكان إبراهيم بن أبي يحيى يتكلم في القدر، فذكر لسفيان بن عيينة فقال: عرفوا الناس أمره، وسلوا الله لي العافية^(٣).

ويشترط في هذا أن تثبت نسبة البدعة، ويكون هذا الرجل علماً من أعلامها والدعاة إليها، ويُنبتى بذلك النصح للمسلمين، قال شيخ الإسلام: (وإذا كان مبتدعاً يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والسنة، أو يسلك طريقاً يخالف الكتاب والسنة، ويُخاف أن يضل الرجل الناس بذلك، يُبين أمره للناس، ليتقوا ضلاله ويعلموا حاله)^(٤)، ويستفاد من هذا أنه ينبغي شهر أصحاب الأفكار الفاسدة المضلة، المنحرفة عن الكتاب والسنة، وبيان مخالفتهم للناس، بشرط أن يُخاف على الناس أمرهم، وأن يكون الإنصاف ميزاناً لشهرهم فلا يُترد عليهم، ولا يقول أحدهم ما لم يقل، ولن يكون ذلك إلا من عالم منصف، متفق على علمه وجلالته.

٣ - التوعية والتحذير: إنما كان وصف أهل الأهواء وبيان أفكارهم من أجل هدف شرعي وهو التوعية والتحذير، ومن ثم كثرت تحذيرات أهل العلم بألفاظ متعددة، ووسائل شتى من أصحاب الأفكار الضالة، فقد اتخذ هذا التحذير شكلاً عاماً، وشكلاً خاصاً ومحدداً، فأما التحذير منهم بشكل عام فمقول الفضيل: (من علامة البلاء أن يكون الرجل صاحب بدعة)^(٥)، وقول إبراهيم الحري: (ياكم أن تجلسوا إلى أهل البدع فإن الرجل إذا ابتلي ببدعة ليس يفلح)^(٦)، وقول عبدالله بن المبارك: (صاحب البدعة على وجهه الظلمة، وإن أذهن كل يوم ثلاثين مرة)^(٧)، وقول الحسن البصري: (لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك)^(٨)، فيلاحظ أن العلماء في تحذيرهم من البدع يقرنونها بمضرتها وخطرها، كما في أثر الحسن البصري الأنف، ويدل ما أثر عن العلماء في البدع أن مضارها متعددة متنوعة تبغض منها وتنفر من أهلها.

(1) الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء (٢٢٠/٢١).

(2) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد السنة (١٣٦/١).

(3) ابن الجوزي: تلبس إبليس (ص ٢٢).

(4) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢٢١/٢٨).

(5) أبو نعيم: الحلية (١٠٨/٨).

(6) الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء (٣٥٨/٣).

(7) اللالكائي: (١٤١/٢).

(8) الشاطبي: الاعتصام (٨٣ / ١).

وأما التحذير الخاص فهو تحذير من بدعة بعينها حسب شيوع هذه البدعة في زمان هذا العالم أو المكان الذي عاش فيه، كتحذير عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - من القدرية، فقد ورد يحيى بن يعمر إليه في موسم الحج فقال له: إن قبلنا ناساً يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم ويقولون: لا قدر، وإنما الأمر أقف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أي منهم بريء وأهم مني براء، والذي يخلف به عبدالله بن عمر، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر كله، خيرره وشره^(١)، بل قد يلتفت العالم إلى التحذير من هوى من الأهواء ربما هوّن الناس من شأنه فيغلظ في التحذير منه بياناً لخطورته كما حدث من إبراهيم النخعي الذي كان يبغيض المرجئة ويقول: (لأننا على الأمة من المرجئة أخوف عليهم من عدّهم من الأزارقة)^(٢).

ويلاحظ أن هذا التحذير من الأهواء والأفكار المنحرفة قد اقترن كثيراً بالأمر باتباع السنة ولزوم طريق الصحابة والسلف، باعتبار أنه الملاذ والمخرج، فهذا عمر بن عبدالعزيز يكتب إلى عامل له وقد سأله عن الأفكار المنحرفة قائلاً: (أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره، واتباع سنة النبي ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعده... فارض لنفسك ما رضي القوم لأنفسهم فإنهم السابقون، وإنهم على علم وقفوا وببصر نافذ كفوا... لقد قصر دونهم أقوام فجفوا، وطمح عنهم آخرون فغلوا)^(٣).

وقد أثمر هذا التحذير فأنصرف الناس في جملتهم عن أهل البدع حتى أصبح صبيغ بن عسل: (كأنه بغير أجرب يحيى إلى الخلق فكلما جلس إلى حلقة قاموا وتركوه)^(٤).

٤ - مواجهة أصحاب هذه الأفكار: كما كان لأولي الأمر من العلماء والأمراء دورهم في وقاية الناس، وحمائتهم من مخاطر الانحراف الفكري، ففي الطرف الآخر كان لهم دورهم في التعامل مع أصحاب هذه الأفكار الذي شمل نصيحهم وزجرهم ومناظرهم واتخاذ المواقف الصارمة ضدهم، على حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة، فقد وقعت المناظرة من العلماء لأهل البدع كثيراً منذ بداية ظهور البدعة فناظر علي بن أبي طالب الخوارج وأرسل عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - لمناظرهم^(٥)، وناظر الأوزاعي - رحمه الله -

(1) البيهقي: شعب الإيمان (٢٠١/١) .

(2) الأجري: الشريعة ص ١٤٣ .

(3) ابن وضاح: البدع (ص ٤٧). وفي هذا دليل على فطنة هذا العالم إلى مكنم العصمة من الأفكار المنحرفة، وهو الاكتفاء بما كان عليه السلف وعدم الزيادة عليه حتى يتفادى الغلو والتفريط.

(4) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٦٣٦/٤، التيمي، أبو القاسم: الحجة في بيان المحجة ٢١٠/١، وكان عمر قد حذر من مجالسة صبيغ كما مر.

(5) البغدادي: الفرق بين الفرق (٧٧ - ٨٠).

قدرياً طلب المناظرة ^(١)، وكذلك الإمام الشافعي ناظر حفصاً الفرد فأفحمه ^(٢)، وناظر عمر بن عبدالعزيز غيلان الدمشقي حتى انقطع ^(٣)، وهذا يعني أن هذه المناظرات من جانب العلماء اتسمت بقوة الحجة ودحض الشبهة.

وتعد المناظرة أول مراتب الزجر لأصحاب هذه الأفكار المنحرفة، فإنها دحض لشبههم، وإظهارهم في موقف الذلة والضعف العلمي، وقد اتخذ العلماء خطوات أخرى من خطوات زجرهم كالهجر والإهانة، حتى قال يحيى بن أبي كثير: (إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق آخر) ^(٤)، قال البغوي: (وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرهم) ^(٥)، ولاشك أن إهانة هؤلاء من جانب أهل العلم والوجاهة بعد بذل الجهد في إصلاحهم يُعد عوناً على تقليص فكرهم وانصراف الناس عنهم، فقد أثمر زجر العلماء لبشر المريسي واستخفافهم به أن الناس وثبوا عليه عند سفيان بن عيينة وجعلوا يقولون جهمي، فقال له سفيان: يا دويبة، يادويبة ^(٦).

وقد يصل الأمر إلى المواجهة بالقوة في حالة اعتدائهم العملي أو الخوف من شيوع فتنهم وإفسادهم، فقد قاتل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الخوارج في النهروان ^(٧)، ثم قاتل الأئمة والولاة للخوارج مشهورة في التاريخ، وهذا عام في (كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغي أو غيرهما) ^(٨)، وكذلك آحادهم وجماعاتهم يقتلون دفعاً لمفسداتهم وحماية للناس منهم، قال شيخ الإسلام: (ومن لم يندفع فسادهم في الأرض إلا بالقتل قتل، مثل المفرق لجماعة المسلمين والداعي إلى البدع في الدين) ^(٩)، هذا إلى جانب أنواع التعزيز الأخرى مثل

(1) اللالكائي: أصول السنة (٧١٨/٢).

(2) انظر: أبو نعيم: الحلية (١١٥/٩).

(3) اللالكائي: اعتقاد أهل السنة (٧١٣/٤). ورد عن بعض السلف النهي عن مناظرة أهل الأهواء، مع وقوع هذه المناظرات

من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ويحمل هذا النهي على الخوف من أن يكون سبباً في شيوع بدعتهم، يظهر ذلك من قول ابن عباس - رضي الله عنهما: (أن التكذيب بالقدر شرك ... فلا تجادلهم فيجري شركهم على أيديكم) مع أن ابن عباس نفسه ناظر الخوارج (الآجري: الشريعة ٢١٥).

(4) ابن وضاح: البدعة (ص ٤٨).

(5) البغوي: شرح السنة (٢٢٧/١).

(6) حنبل، عبدالله بن أحمد بن: السنة ١٦٩/١.

(7) ابن كثير: البداية والنهاية (٢٦٥/٧) وابن الأثير: الكامل (٨٤/٢).

(8) النووي: شرح مسلم (١٦٥/١١).

(9) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٠٨/٢٨).

الضرب والسجن والنفي وإتلاف كتبهم^(١)، ويلاحظ أن هذه الجهود من أولي الأمر علماء وأمرء تُعد نموذجاً يحتذى وقدوةً تؤتسى في المحافظة على كيان الأمة من الأفكار المنحرفة إن أُستخدم كل منها بشروطه من غير إفراط ولا تفريط .

المبحث الرابع: تجربتنا الحضارية في ضوء معطيات المصدر الأول

يسجل ابن تيمية - رحمه الله - سبباً عجيباً من أسباب سقوط الدولة الأموية وهو وجود الجعد بن درهم وأثره في متأخري خلفائهم يقول: (وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه عاد إليه حتى زالت الدولة، فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف الرسل انتقم الله ممن خالف دين الرسل)^(٢)، ثم يطيل النفس مبينا العلاقة بين فشو البدع وحلول النقم بالمجتمعات والدول خاتماً بقوله: (والمقصود هنا أن دولة بني أمية كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل وغيره من الأسباب التي أوجبت إدارها)^(٣)، وهذا يلفتنا إلى العلاقة بين الانحراف الفكري وبين التخلف والهزائم التي أصيب بها المسلمون .

وما أشبه الليلة بالبارحة! فتمدد الانحرافات الفكرية وكثرها كان لها أثرها المشابه في واقعنا المعاصر، وقد التفت بعض الدارسين إلى هذه الحقيقة إذ جزم بأنه (لا بد أن تتمخض تلك الانحرافات السيئة عن آثار خطيرة تؤثر في حياة الأمة الإسلامية ... وأن ما أصابها من ضعف وهبوط في شتى نواحي الحياة وما تعرضت له وما زالت تتعرض له من تسلط الاستعمار وتبعيته ومن غزو فكري ونشاط تنصيري إلى غير ذلك هو نهاية طبيعية لما آلت إليه أحوال المسلمين العقدية والعلمية من ضعف وانحراف)^(٤).

وقد أمكن التعرف على جملة من الأفكار المنحرفة التي مثلت تحديات لأمن المسلمين الفكري في صدر الإسلام وبقي دور النظر الدقيق في مدى الإفادة من تجربة المصدر الأول في مواجهة مثل هذه الأفكار في تجربتنا الحضارية المعاصرة، وهذه النظرة ينبغي أن تتجه أولاً إلى التمييز بين الثوابت والمتغيرات فيما بين التجربة التاريخية والتجربة المعاصرة، بغية التوصل إلى موقف ثقافي عام ودقيق يهدف إلى توصيف الأبعاد الحقيقية للمشكلة ثم الجراءة على نقد الحلول المطروحة وفرزها فرزاً شجاعاً، ثم طرح الحلول والمقترحات الواقعية القابلة للتطبيق في المجتمعات الإسلامية على يد أولي الأمر والمسؤولين والقادة العلميين والتربويين، بغض النظر عن

(1) ذكر الدكتور إبراهيم الرحيلي نماذج من هذه التعزيرات وشروطها منسوبة إلى من قال بها من السلف والعلماء في

دراسته عن موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع (ص ٦٢٥ - ٦٣٤).

(2) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٣/١٧٧).

(3) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٣/١٨٢).

(4) الزهراني، علي بنحيت: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة

(ص ٧٣٣) .

مدى الجهد الذي ينبغي بذله في تطبيقها. فأهم الثوابت المشار إليها هي وجود كثير من التحديات القديمة متمثلاً في تطور الفرق والأفكار التي مثلت تحديات للمصدر الأول ولو بأسماء مختلفة، فحركات الخوارج وعقائد غلاة الشيعة وكذلك الزندقة ما تزال لها امتداداتها بالفكر القديم كما أن لها وجودها الفكري في الواقع المعاصر^(١)، وأما التحديات الحادثة التي تمثل متغيرات فيما بين التجربة التاريخية والتجربة الحضارية فمنها:

١ - اتساع رقعة الزندقة والإلحاد، والسماح بإشاعة هذه الأفكار المنحرفة تلميحاً وتصريحاً سواءً في ذلك الإلحاد الصريح الذي ينكر ثوابت التوحيد والعبادة، أو الزندقة التي تعتمد على الثورة على الثوابت^(٢).

٢ - تقلص الدور التوجيهي في بعض الأقطار حول التزعة الفكرية من مجرد نزعة متفوقة موجهة إلى اتجاه فكري له أنفة وعزة وتألق، وقد ساهم في هذا أيضاً الجانب الإعلامي خصوصاً انتشار القنوات الفضائية، وتزايد المواقع على الشبكة العنكبوتية يعضد هذا ويقويه افتقار حركة النشر في بعض البلاد الإسلامية إلى الضوابط الأخلاقية الإسلامية^(٣)، ومن ثم نتج عن هاتين الظاهرتين انتشار التيارات المنحرفة في العصر الحديث بصورة أقوى منها في التجربة التاريخية في صدر الإسلام. ويمكن أن يضاف إلى ذلك سببان تعلقا بمعالجة ظاهرة التيارات المنحرفة وتصور حلها أديا إلى نتيجة عكسية وهي زيادة هذه التيارات المنحرفة قوة وانتشارا، وهما:

١ - اقتراح حلول إلحادية وإباحية لمشكلات التطرف الديني من باب إحلال النقيض محل نقيضه، وفي هذه الخطوة لم يستفد الطرح المعاصر من التجربة التاريخية في المصدر الأول شيئاً وإنما يبدو من هذا الصنيع الثورة على معطيات هذه التجربة واستصغارها .

(1) ومن الأمثلة على ذلك ترديد شكري مصطفى زعيم جماعة التكفير والهجرة قول الخوارج في قوله: (إن المعاصي شرك بالله تعالى) وكذلك قوله: (الإصرار على معصية واحدة كفر بالله العظيم ومحبط لكل أعمال البر وإن كانت كجبال هامة ... ونقض كامل للشهادة بوحداية الله تعالى وكفر كامل بوجوب عبادته) سجلات محكمة أمن الدولة العليا (ص ١٤٢٧) نقلاً عن: عثمان، عبدالتواب: أثر آراء الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر (ص ٢١٤).

(2) من أمثلة النوع الأول: أدونيس وكتابه (الثابت والمتحول) الذي يحمل نظريته الإلحادية في إنكار الثوابت فهو يدعو إلى إزالة الموروثات العقدية والشرعية بالكلية، إذ يقوم الكتاب (من أوله إلى آخره على التنظير والتسويق والتبرير لعناصر هدم الحضارة العربية الإسلامية) الوسطية العربية مذهب وتطبيق (٧٧/٣) ويرى أن الدين (إنما يقوم على عنصر الاستلاب وتحويل الإنسان إلى طفل يتلقى الأوامر والنواهي) الوسطية العربية مذهب وتطبيق (٧٦/٣)، وأما النوع الثاني: فيضم كثيراً من العلمانيين والحدائين الذين يثرون على ثوابت الإسلام بوسائل مختلفة. وقد ذكر عادل الشدي في دراسته عن النفاق وأثره في حياة الأمة أهداف المنافقين ووسائلهم في الواقع المعاصر من ص ٣٩١-٤٠٤ وهي جدية بالمراجعة.

(3) وتجدر الإشارة هنا بالضوابط الأخلاقية والفكرية التي تضبط حركة النشر عموماً في المملكة العربية السعودية حتى إن هذه الضوابط تطال المواقع الإلكترونية في شبكة الإنترنت .

٢ - الانهماجية أمام النموذج الغربي بشعبيته الشيوعية^(١) والرأسمالية ، وهذا السبب هو صلب الأمر وأساس اقتراح الحلول الإلحادية والإباحية لأن هذه الوجهة وضعت النموذج الغربي تجاه عينها، ونظرت إليه نظرة إكبار وإجلال غير مراعية لطبيعة المجتمعات وذاكرتها التاريخية، فقد أدت هذه الانهماجية إلى تساؤل خطير وجد عند مفكري ما يسمى بعصر التنوير وهو: هل نحن من الشرق أو من الغرب؟! وهو تساؤل يمثل مدى الحيرة لدى هؤلاء المفكرين في تبين مواضع أقدامهم، بل وموقع حضارتهم التي امتدت بجذورها في أعماق التاريخ^(٢). وأدى هذا الانحناء أمام النموذج الغربي إلى تقديس نتاجه الفكري واعتبار جهوده في حل المشكلات أساساً علمياً وعملياً تنطلق منه جهود المفكرين في مجتمع إسلامي ، ومن مظاهر هذه الانهماجية فيما يتعلق بالحلول المطروحة لمشكلة التطرف الفكري:

١ - استشارة النظريات الغربية متمثلة في الباحثين النفسيين والاجتماعيين الذين تشبعوا بنظريات علم النفس والاجتماع الغربي، وليس المراد بالاستشارة هنا محاولة الإفادة من تجارب الآخرين وفكرهم في إطار قيمنا وثقافتنا فهذه محمودة، وإنما المراد استشارة الاغتراف وملء العيبة من الحلول المطروحة دون تمييز، فمن المعروف أن نظريات علم النفس الغربي تعتمد مسلمة أساسية لا تتفق وقيمنا وموروثنا الحضاري من أولها نظرية التطور الدارونية التي تعد الإنسان حيواناً متطوراً عن كائنات أخرى فهو (حيوان يحيا في قطيع تتحدد أفعاله بدافع غريزي لاتباع الزعيم وبأن تكون له صلة وثيقة بالحيوانات الأخرى من حوله)^(٣)، وكذلك مادية التوجه سواءً من ناحية المعرفة ومصادرها أو من ناحية العوامل المشكّلة للسلوك الإنساني أو من ناحية الغاية، فهو يستبعد الدين من كل هذه المجالات، حتى أصبح الإنسان عند فرويد كائناً مسيراً (لأن غريزته هي المسيطرة عليه وهي التي توجه السلوك دون أن تدع للفرد مجالاً للاختيار)^(٤)، ثم نأتي إلى أبشع معالم علم النفس وهو أن النموذج القياسي للنفس الإنسانية عنده هو الواقع الغربي، (ومن ثم صار الواقع المنحرف الذي يعيشه الناس في الغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين هو المقياس الذي تقاس به النفس الإنسانية وتصاغ النظريات على

(1) تأثير الشيوعية في الواقع الثقافي مازال موجوداً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بخلاف الأثر السياسي والعسكري.
(2) حصر صاحب الوسطية العربية مجموعة من هؤلاء المفكرين الحيارى بصورة تحزن المسلم حين يجد هذه الحيرة ويزيده حزناً أن يجد بعضهم يدافع مستميتاً عن الانتماء إلى الغرب باعتباره أصلاً حضارياً وليس ضرورة آنية، ويمثل هذا الاتجاه - ضمن جماعة من المفكرين - طه حسين بصراحة ووضوح في كتابه مستقبل الثقافة في مصر. (انظر: الوسطية العربية ١٥٠-٥/٣).

(3) أريك فروم: (الدين والتحليل النفسي) نقلاً عن صالح بن إبراهيم الصنيع: (التدين والصحة النفسية) (ص ٣٣٥).

(4) قطب، محمد: الإنسان بين المادية والإسلام (ص ٤٦) .

أساسه^(١)، ومثل هذه المسلمات^(٢) لا شك أنها تُبعد التُّجعة في تفهم طبيعة نفس المسلم ومكونات سلوكه ودوافعه والغاية التي ينشدها بغض النظر عن انحرافه الفكري في نشدان هذه الغاية.

٢ - البديل الخطأ: اعتماداً على خطأ التوجه في الحل، وإفساح المجال في اقتراح الحلول والعمل بها ليس للنفسيين فحسب ولكن لمفكرين في مختلف الاتجاهات: ليبرالية وشيوعية وغيرها كانت النتيجة طرح بديل بعيد عن الروح الإسلامي جملةً، وصفه بعضهم بأنه (فكر متقدم مستنير قادر على الفهم والنقد والتحليل)^(٣) وهو وصف جيد لو كان المراد فكراً إسلامياً هذه صفته، وإنما قصد صاحبه - وهو أحد أعلام المدرسة الماركسية العلمانية - إزاحة الفكر الإسلامي جملة وإحلال النموذج الماركسي محله .

٣ - تعديل آلة التكوين الفكري: وهذه ناتجة عن إحلال البدائل الآنف ذكرها، فآلات التكوين الفكري تتمثل في التعليم والثقافة والإعلام بمناشطه المختلفة، ولا شك أنها مما ينبغي الالتفات إليه في التجربة المعاصرة ولكن من منظور إسلامي معتدل وسط، إلا أن التجربة المعاصرة في بعض الأقطار لم تعتمد هذا الإطار ولكن اتجهت إلى تعديل هذه الآليات وفق التوجه المشار إليه آنفاً، فنظر إلى المناهج الدراسية وإعداد المعلم والكتب الثقافية من هذا المنظور^(٤) ولم تكن هذه الإجراءات المنبثقة عن تقديس النموذج الغربي وآلياته قادرة على حل المشكلة كما ينطق الواقع، لاختلاف الواقع العربي الإسلامي بنيةً وعقيدةً وأخلاقاً، بل على العكس من ذلك، امتدت فروع التطرف الديني خاصةً فكراً وسلوكاً، إلى جانب تمدد الطرح الإلحادي وشيوع الزندقة فزاد الأمر سوءاً، وقد اعترف بهذا الفشل ضمناً التقرير اليهودي الذي كتبه يسرائيل ألتمان، إذ أشار إلى استمرار حركة التطرف الديني، ملمحاً إلى أن معالجة مثل هذه التنظيمات يجب أن ينظر إليها (أولاً وقبل كل شيء على أساس الأزمات التي أدت إلى تغلغل الغرب وأساليب المدنية في المجال الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والنفسي ... وكان الرد العلماني الذي اعتبر الدين عائقاً أمام التغيير الاجتماعي والتطور فنادى البعض بالعلمانية والتطبيع بالطابع الغربي ... إذ تصارع التعصب الديني ضد التيار العلماني والمتطبع بالطابع الغربي ... ويجب علينا النظر

(1) دراسات في النفس الإنسانية (ص ١١٤) .

(2) يراجع لهذا المسلمات: صالح بن إبراهيم: التدين والصحة النفسية من (ص ٣٣٣ - ٣٤٥).

(3) زكريا، فؤاد: الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة (ص ٩٥، ص ١٤).

(4) عرض عبدالرحمن الميداني أمثلة لتوجيه التعليم في بعض البلدان الإسلامية في كتابه (غزو في الصميم) (ص ٣٥ - ٣٨) بينما عرض في الجهة المقابلة نموذجاً للسياسة التعليمية المستوحاة من الإسلام ومصالح المسلمين متمثلاً في السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية وذلك من (ص ٣٨ إلى ص ٥٥) ويمكن المقارنة بين هذين الاتجاهين إلى جانب طرق إعداد المعلم والأنشطة التعليمية الموافقة للهدف المنشود.

لهذا التطور على أنه رد فعل للخطوات العلمانية والتغييرات الاجتماعية والثقافية ...^(١).

وهذه الإطالة لم يكن لنا غنى عنها حتى لا تتكرر مشروعات الحلول التي تستقي معطياتها من هذا التوجه بعد أن أثبت فشلها في وقف تيارات التطرف أو تقليصه، بل لعله ساهم في تمده وتزايد مشكلاته ولعل السبب البارز لهذا الفشل هو محاولة إثبات وسائل غريبة في تربة لا تجانس بينها وبينه، وهذا هو الذي يؤدينا إلى القول بأن معطيات التجربة التاريخية في الصدر الأول هي التي سيستفاد من مفرداتها في اقتراح الحل العملي المنشود، مصداقاً لقول مالك بن أنس رحمه الله: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها)^(٢).

من هنا نصل إلى قاعدة مؤداها أن الوسطية الإسلامية هي النموذج الوحيد المتغيّ في الحل، وقد يبدو التعبير سهلاً أو ساذجاً ظاهرياً وذلك سببه أن الذين طرحوا مفهومهم للوسطية لم يتعدوا الطور الوصفي إلى الميدان التطبيقي واختلط في نظرهم للوسطية مفهوم التوفيق ومفهوم التلقيق فلم تتضح صورة الوسطية الإسلامية في وجهها الصحيح فضلاً عن تطوير نظرهم الوصفية إلى أداة تطبيقية عملية^(٣)، فالوسطية الإسلامية الحقّة تملك منهج الوعي وأداة التغيير، إذ (كانت نظرهما لا تكتفي بالداخل، ولكن تطل على الخارج أيضاً ولا تقف عند الذات ولكن تفكر في الآخر أيضاً ... لا تكتفي بملاحظة الشيعين فحسب ولكن تتجاوز الملاحظة إلى اتخاذ الموقف الثالث ... ولم تكن مجرد توفيق بين حضارات مختلفة، أو مجرد جسر يربط حضارة بالآخرى بل كانت موقفاً مميزاً من خلال تفسير خاص للتاريخ، ثم انعكاس هذا التفسير على ظواهر الكون والحياة والإنسان)^(٤)، إذاً فالأهم هو تطبيق معاني الوسطية في كل مجالات الحياة، من حيث السلوك الفردي أو الجماعي مع وسطية النظر الفكري الذي يقترح هذا السلوك ويوجهه .

وتفصيل هذا كله قد يخرج عن مجال بحثنا، وإنما نغني هنا من حيث الأساس بالوقايات والعلاجات الأعلق بالتعامل مع الفكر المنحرف التي تقدمها الوسطية الإسلامية في صورتها المتكاملة، ونركز على الخطوات التالية:

١ - **توصيف الفكرة المنحرفة** وتتبع تطورها وعوامل هذا التطور ومظاهره ونصوص العلماء المتقدمين هو المعين الأول في هذا الشأن، فقد مرّ في ثنايا البحث أن التعرف على الفكرة المنحرفة ووصفها هو أول ما قدمه العلماء في محاولة العلاج والتحلي بدقة أهل العلم المتقدمين في الصدر الأول أمر لا مفرّ منه في هذا التوصيف،

(1) أتمان، يتسرايل: النظام الحاكم والمعارضة في مصر في عهد السادات - الفصل الرابع، نقلاً عن وثائق تنظيمات الغضب ص ٢٢-٢٣.

(2) ابن الحاج: المدخل (٢٦٢/١) .

(3) انظر: إبراهيم، عبد الحميد: الوسطية العربية مذهب وتطبيق (٣/٥ - ٢٠) و (٣/١٩٠ - ٢٢٩).

(4) انظر: إبراهيم، عبد الحميد: الوسطية العربية مذهب وتطبيق (٣/٤٣).

وإلا أدى ذلك إلى خلط في الأوراق إن صح التعبير واستحال العلاج^(١). ومن تطبيقات هذا التوصيف ما طرحه عبدالرحمن اللويحق في توصيفه طبيعة الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة في ست خطوات هي: هل المشكلة فعل أو رد فعل؟، هل هي مشكلة مرحلية أو دائمة؟، هل هي محلية أو عالمية؟، هل هي نابعة من المجتمع أم وافدة؟، هل هي فردية أو جماعية؟، هل هي تربوية أو اجتماعية أو سياسية أو أعم من ذلك؟^(٢)

٢ - التدابير الوقائية العامة التي تتعلق بالمجتمع من حيث حماية أفراده من هذه الأفكار . وتتمثل في:

أ - منابع العلم الصحيح، فإذا كانت المعرفة هي غاية الإنسان عامة، إذ تترقى وسائلها وثمارها حسب رقي أفراده فإن الانحراف في منابع هذه المعرفة أو وسائلها يساهم في انحراف النفس المتلقية لهذه المعرفة فكراً وسلوكاً ومن هنا قال ابن شوذب - أحد شيوخ السنة - : (من نعمة الله على الشاب والأعجمي إذا شك أن يوفق لصاحب سنة يحملهما عليها، لأن الشاب والأعجمي يأخذ فيهما ما سبق إليهما)^(٣)، ويؤخذ من هذا أن توجه الطاقات العلمية والتعليمية والثقافية والإعلامية لتعليم العلم النافع خصوصاً السنة وطريقة السلف الصالح، وبحث وسطية الفهم والبحث والنقد والاستعانة بالمختصين في تنسيق مراحل هذا التعليم على حسب المراحل العمرية بالنسبة للتعليم وعلى حسب قدرات الاستيعاب ومراعاة أحوال الناس فيما يتعلق بالبرامج الثقافية والإعلامية .

ب - تجريد المنهج: والمقصود به التفريق بين الجانب العلمي والجانب الدعائي في طرح العقائد والأفكار **تبنيًا** أو انتقاداً؛ فمن المقرر أن الذي يبقى في القلب ويتنفع به الناس هو العلم، وأما تزيين الأفكار أو الحماسة في طرحها فهي مؤثرات وقتية تزول بزوال الباعث لها، ومن هنا يُعاب على بعض الشخصيات الدعوية الحماس في طرح الفكرة، كما يُعاب على المتلقين التأثير بالكلمات الرنانة أو الوقوع تحت ضغط ظروف أو مؤثرات ما

(1) وتبدو ثمرة هذه الخطوة في أن دقة التوصيف تعني دقة المعالجة، بحيث لا يناظر على فكرة من الأفكار هي غير موجودة عند من تناظره أصلاً، ومن هنا كان حرص العلماء على تحديد موضوع المناظرة بدقة كما يظهر في كتب آداب البحث والمناظرة، وما يقال في المناظرة باعتبارها إحدى وسائل المواجهة يقال في غيرها من الوسائل على اعتبار أن دقة التشخيص هي المقدمة الأساس لصحة العلاج . إلى جانب إزالة الإشكالية الموجودة في نسبة بعض الأفكار إلى فرق أو اتجاهات بعينها كالمرجئة أو الخوارج أو غيرها، أو رمي بعض الأفراد بفكرة بعينها، أو الانتماء إلى نوعية معينة من الفكر المنحرف، ولا شك أن عدم الدقة في هذا التوصيف يحدث مردوداً عملياً غير محمود، إذ يفقد المصادقية في التوصيف جملة فإن ثبوت براءة البعض من تهمة ما يعني عند الجماهير ترزع المقياس ومن ثم انهياره .

(2) انظر اللويحق : الغلو في الدين (ص : ١٢٣ - ١٣٢) .

(3) ابن بطة الشرح والإبانة (ص ١٥٠).

في تقبل الفكرة غير مجرد قوة أدلتها^(١). والناظر في المصنفات المتقدمة في العقيدة أو الفقه مثلاً يلاحظ حرص مصنفيهما على تجريد الفكرة وسوق الأدلة منظمة بعيداً عن الهياج اللفظي والتحسينات البديعية .

ت - السيرة الصحيحة لقطاعات الدولة ومؤسساتها: وهي من أهم الوقائيات التي ينبغي الالتفات إليها فقد لوحظ أن الخطاب المتطرف يعتمد في كثير من بنوده على الخلل والتجاوز الشرعي أو الأخلاقي في بعض القطاعات والمؤسسات مثل وجود المؤسسات الربوية أو شيوع الرشوة أو التبرج والسفور ونحوها من المظاهر فتعد الرقابة على قطاعات الدولة ومؤسساتها ضماناً لحسن سيرتها الموافقة للشرع الحنيف والقيم الإسلامية، ووسيلة أيضاً لقطع حجج التطرف ومبرراته من هذه الناحية، ولا شك أن تحكيم الشريعة الإسلامية ومتابعة القيم المنبثقة منها في القطاعات المختلفة هو الأداة الحاسمة لهذه المادة .

ث - نشر ثقافة الحوار: فإن الوصول إلى الحق عن طريق التحاور من الأصول المقررة في بداءة الأمم وقد نادى الله عز وجل أهل الكتاب إلى التحاور للوصول إلى كلمة سواء وأمر النبي ﷺ بمجادلتهم بالتي هي أحسن، فمن المبادئ ما يؤخذ بالتلقين ومنها ما يتغلغل في النفس عن طريق المباحثة ومنها ما يكون خطأً فيظل صاحبه على خطئه ما لم يفتح على غيره^(٢). وقد كانت المناظرة لوناً من ألوان هذا الحوار، فهي (تشحذ الفهم وتعطي الإنسان قدرة على المجادلة في الحق)^(٣)، ويمكن نشر ثقافة الحوار من خلال المناشط العلمية والتعليمية والإعلامية بإعداد خطط تجمع غايتها بين تنشيط أداة المحاورة وبين ضبط هذه الأداة بالضوابط الشرعية الصحيحة، وتجدر الإشارة هنا إلى مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني الذي يقوم على نشر هذه الثقافة تحت إشراف متخصصين (وقد لاقى هذا المركز ترحاباً من المسؤولين والعلماء والمثقفين والأدباء وعامة الناس، مؤكداً أهمية هذه الخطوة في تأصيل مفهوم الحوار الهادف وتحقيق آمال الدولة والمواطنين للرفق بهذا الوطن والوقوف ضد كل من يحاول المساس بأمنه العقائدي والفكري والثقافي)^(٤).

٣ - التدابير الوقائية الخاصة التي تعتمد التربية على وسطية الفهم وضبطه: وتتضمن أيضاً مواجهة الفكر

(١) الأمثلة في تجربتنا الحضارية كثيرة من أصحاب الأفكار المنحرفة إذ تمتلئ مؤلفاتهم الفكرية بالمؤثرات البيانية والتهويلات اللفظية، دون كبير اهتمام بالاستدلال العلمي المجرد على القضية المطروحة، وهذا يؤكد أن التربية على تجريد المنهج هو عنصر وقائي ضد مثل هذه النزعات .

(٢) سجل القرآن الكريم أقدم حوار كان وسيلة لإقناع أحد المتحاورين بخطأ رأيه، وهو حوار الله تعالى مع الملائكة في استخلاف آدم عليه السلام، وقد امتلأت السنة النبوية وآثار السلف بالحوار باعتباره وسيلةً للتلاقح العلمي، وأداة للاطلاع على وجهة النظر بغية الوصول إلى الصواب فيها .

(٣) ابن عثيمين: شرح كتاب حلية طالب العلم (ص ١٥٨).

(٤) مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني من وجهة نظر المجتمع (ص ٩).

المنحرف إذا لزم الأمر، وتتمثل أهم وسائلها في:

أ - ضبط المصطلحات: من خلال التجربة التاريخية في الصدر الأول يلاحظ أن قضية المصطلح كان لها أثرها الخطير سواء في نشأت الأفكار المنحرفة وسيرتها أو في محاربتها ومن أمثلة ذلك انحراف المصطلح عند المعتزلة إذ أن مصطلحات التوحيد والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم مصوغة بالطريقة التي توافق أهواءهم من إنكار الصفات الإلهية ونفي القدر والخروج على الولاة، ومن هنا كان ضبط المصطلح ضرورة وواجباً على العلماء والدعاة، وقد تمخضت التجربة المعاصرة عن إدراك أن مثل هذا الخلط في المصطلحات أدى إلى تعزيز التطرف والانحراف الفكري^(١)، وكفينا للتمثيل لذلك مصطلح الولاء والبراء، إذ انحصر هذا المفهوم عند بعض جماعات التطرف في موالاته أعضائها والتبرؤ من سواهم، وأطلق عند بعضها الآخر بناء على مفهومهم في تكفير الحكومات والأحزاب المخالفة لهم، وانطلاقاً من هذا التصور ترى وثائق بعض هذه الجماعات أنه (أصبح واضحاً الآن أن هناك حكومات وأحزاب وجماعات كافرة، وفي مقابلها جماعات تعمل لإقامة الدولة الإسلامية، هناك إذاً حزب الشيطان وحزب الله، فكل من والى الحكومات الكافرة والأحزاب والجماعات الكافرة ضد الجماعات الإسلامية فهو كافر؛ لأنه ناصر الكفر على الإيمان)^(٢)، وقد طبق هذا المبدأ على كافة الأعيان الذين يظهر منهم أي عمل يوصم هذه الموالاتة حتى أصبح من تطبيقات مبدأ الولاء والبراء ترك العمل في قطاعات الدولة وترك التعليم في مدارسها بل وترك الصلاة في المساجد المقامة على أرضها .

ب - نشر القيم المضادة للانحراف الفكري: من خلال التجربة التاريخية وجدنا أن الانحراف الفكري ينشأ في قيم نفسية وفكرية ذات طابع يسمح بتأصل هذا الانحراف ثم التأصيل له، كالتسرع في إصدار الأحكام وعدم الدقة الموضوعية والاستهانة بالدماء وغير ذلك من القيم التي كانت مرتكزاً نفسياً لتجذر الأفكار المنحرفة، ومن هنا فالمواجهة تبدأ بتأصيل القيم البديلة المستقاة من الشريعة الغراء وطريقة السلف، مثل تعظيم حرمة المسلم وتوقير العالم والأناة في وضع المقدمات واستنتاج النتائج والتحري عند شيوع الشائعات والتوقف عند وجود الشبهات ورد الأمر إلى أولي الأمر من العلماء والولاة، فهذه القيم هي بدائل تربوية لا غنى عنها وعن الاهتمام بنشرها وتأصيلها في النفوس من خلال قنوات التأثير العلمي والتعليمي والإعلامي^(٣). وهذا لا

(1) هناك مصطلحات كثيرة وجدت في التجربة التاريخية وظلت بالخلط نفسه في التجربة المعاصرة كمصطلح التكفير والكفر عند جماعات التكفير إلا أن البحث أثر مصطلح الولاء والبراء لأنه تغلب عليه الصبغة المعاصرة .

(2) سرية، صالح: رسالة الإيمان، جزء مصور من الرسالة ضمن ملاحق كتاب وثائق تنظيمات الغضب (ص ١٧٨).

(3) لا بد في هذا الصدد أن يكون الموجه على دراية واضحة ودقيقة بهذه الأفكار من حيث تفاصيلها والشبهات التي قامت عليها والجو الذي تمددت فيه، بينما لا يحتاج ذلك إلى معرفة المتلقي لمثل هذه التفاصيل.

يكون إلا بخطة واضحة المعالم، مدروسة الإمكانيات .

٤ - مسئولية أولي الأمر (الحكام والعلماء): إن ما سبق كله تقع مسئولية التخطيط له وتوفير آليات تطبيقه ومتابعته على عاتق أولي الأمر وهم الحكام والعلماء إلا أن هناك أمرين ينبغي الالتفات إليهما هما:

أ - عوامل إنجاح ما أُشير إليه من التخطيط والمتابعة .

ب - دور مؤسسات المجتمع المختلفة في مجال التنفيذ .

فأما الأولى فيمكن تلخيص آلياتها فيما يلي:

١ - وجوب التقارب بين العلماء والحكام، والتقارب صيغة تفاعل تقتضي الجنوح إلى القرب من كلا الطرفين لا من أحدهما، وهذا يستوجب تقريب الحكام للعلماء، واستشارتهم وتأكيد وجودهم في واقع الأمة، فإن من أوائل سياسة سليمان بن عبد الملك بن مروان التي استدعت ثناء الناس عليه^(١) تربيته لأهل العلم والصلاح، فقد قرب عمر بن عبدالعزيز فجعله وزيراً ومستشاراً وعزل عمال الحجاج صدوراً عن رأيه^(٢)، وولى محمد بن يزيد الأنصاري على إفريقية بمشورة رجاء بن حيوة أحد العلماء^(٣)، بل وقد ولى بعضهم على البلاد، كتوليته أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم أحد فقهاء المدينة عليها^(٤) .

وكذلك يستوجب قرب العلماء من الحكام بغية مناصحتهم بوسائل النصح المختلفة وإزالة الإشكالات التي تعترضهم شرعية كانت أو متعلقة بطريقة التعامل مع الأمور وضوابطها، فمهما كان من الآثار الواردة عن اعتزال الحكام وعدم الدخول عليهم ونحو ذلك فهي محمولة إما على المحافظة على هبة العلماء أو الانشغال بالعلم والدعوة أو الخوف من الفتنة في الدين^(٥)، ولذلك وُجد من علماء السلف من اقترب من الحكام بغية نصيحتهم ومشاركتهم في إصلاح أمر العامة، (وقد كان إخلاص العلماء وقصدهم وجه الله والدار الآخرة في بذل النصيحة، كان ذلك عاملاً مهماً في قبول الخلفاء والولاة لنصائحهم وتوجيهاتهم حيث تقع من قلوب الخلفاء والولاة موقفاً يفرض عليهم تقديرها والأخذ بها في أحيان كثيرة)^(٦)، وفي التجربة المعاصرة يوجد علماء كثيرون شاركوا في الحياة العامة، وبذلوا النصح للولاة بطريق القرب منهم ، ولا شك أن أهل العلم يعرفون

(1) قال الذهبي في السير: كان ديناً فصيحاً مفوهاً عادلاً . سير أعلام النبلاء (١١١/٥)، وقال ابن كثير: كان يرجع إلى دين وخير ومحبة للحق وأهله ... البداية والنهاية (٦٤٢/١٢).

(2) انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات (٤٠٣/١٥).

(3) انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها (ص ٢٣١).

(4) انظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب (٣٩/١٢).

(5) فصل الدكتور عبدالله بن عبد الرحمن الخرغان هذه المسألة في كتابه: أثر العلماء في الحياة السياسية (ص ٢٥٨ - ٢٦٧).

(6) عبدالله الخرغان: أثر العلماء في الحياة السياسية (ص ٢٧٠).

طريقة النصيحة المجدية وأهمية الإمام بواقع المسلمين وقياس المصالح والمفاسد، ويدركون الضوابط المختلفة للسياسة الشرعية .

٢ - سن التشريعات الفكرية للحد من تغلغل الفكر المنحرف، ومن المعروف أن الرقابة على المصنفات والأداء العلني موجود في كثير من الدول، إلا أن المراد هنا ليس أن تكون هذه اللوائح الرقابية أداة لتكبييل حرية التعبير في الإطار المشروع، وإنما أن تكون وسيلة لتنظيف الفكر المطروح من الانحراف عن السبيل القويم، فقد كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - صبيغ بن عسل لما وجده يتكلم بالمتشابهات من القرآن ومنع الناس من مخالطته إلى أن تاب^(١)، وامتداداً لهذا الهدي أصدر المتوكل أوامره بمنع المعتزلة من إظهار بدعتهم، بل عزل من كان في مواقع التأثير منهم كأبي الوليد قاضي القضاة يومئذ وهو ابن أحمد بن دؤاد رأس مناظري المعتزلة في ذلك الوقت^(٢)، وحبس هارون الرشيد الزنادقة^(٣)، وأقصى الجهمية^(٤)، وعين المهدي موظفاً خاصاً لتعقب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق^(٥)، فهذا يؤكد استعمال أدوات المتابعة المناسبة في مواجهة الفكر المنحرف. وأما الثانية فتتمثل أهم آلياتها في وعي رجال هذه المؤسسات قادة وتابعين، ومنظرين ومنفذين^(٦) بدور المؤسسة في هذا المجال، ولذا يُقترح أن تكون مواجهة الانحراف الفكري منصوباً عليها في لائحة المؤسسة ومنصوباً على الآليات التي ستستخدمها في هذا الصدد إما عموماً أو تحديداً، كما يتمثل أيضاً في تحديد الدور المنوط بأفراد المؤسسة في هذا الصدد كما يُحدد دورهم الوظيفي وطبيعة عملهم حتى يمكن من ذلك تعرف المؤسسة وأفرادها على الشطر الذي قسمته لنفسها .

وعلى هذا الأساس تتحدد مشروعات الحلول وتوزع المهام والأدوار بدقة وفاعلية عسى أن تتكامل خطة علمية وعملية لمواجهة انحرافات فكرية وعقدية أثرت في واقع الأمة تأثيراً خطيراً مستعنيين بالله أولاً وآخراً ، والله من وراء القصد.

(1) اللالكائي: ١٢٠/١، أبو القاسم التميمي: المحجة في سير الدجلة ٢٠٩/١.

(2) الطبري: تاريخه (٣١٤/٥) .

(3) الطبري: تاريخه (٢٢٠/١٠).

(4) انظر ابن القيم: الصواعق المرسلة (١٠٧٢/٣)

(5) الطبري: تاريخه (٥٨٠/٤).

(6) ولا فرق هنا بين مؤسسات الدولة الرسمية كالتعليم والإعلام وغيرها وبين المؤسسات الاجتماعية والخيرية الأهلية، بل يدخل في ذلك المؤسسات الاقتصادية كالشركات التجارية من باب المسؤولية الاجتماعية للشركات وهو أمر ينادي به الاقتصاديون على المستوى العالمي .

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا البحث الذي يزواج بين تجربة السلف وتجربة الخلف استلهاماً لهدي السلف وإيماناً بأن التحديات الفكرية المعاصرة هي امتداد وتطور للتحديات الفكرية التاريخية في العصور الأولى من الإسلام .

فقد طرح البحث أنواع التحديات التي واجهت صدر الإسلام من نفاق وزندقة و فرق متعددة أنتجها التعصب وروح التأثر والبعد عن الفهم الصحيح وقلة الروية ، مع بعض المؤثرات الأجنبية ، مشيراً إلى أهم مظاهر الانحراف في فكرها وكيفية تغلغلها وأدوات دعوتها ، ثم على جهود أولي الأمر من حكام وعلماء في مواجهة هذه الأفكار عن طريق نشر السنة وإرساء أصولها وتوضيح المعتقد الحق والدعوة إلى الفهم الصحيح ، ثم بيان هذه الأفكار المنحرفة وتوضيح ضعف شبهاتها ومفاسد أصحابها ، ثم توجيه أصحاب هذه الأفكار بالمجادلة والمناظرة والزجر والتحذير كل ذلك حسب الظروف والأحوال .

وتمخضت هذه التجربة التاريخية في طرح البحث للتجربة المعاصرة بما فيها من ثوابت ومتغيرات مشيراً إلى بعض الحلول التي طرحت في أقطار مختلفة ، مع وزنها بالميزان الإسلامي الصحيح وتمييز ما فيها من صواب وخطأ ثم طرح الحلول المستقاة من وسطية الإسلام .مفهومها الواضح وتطبيقها العملي الصحيح ، وتمثل هذا في عرض مركزٍ يتضمن مقترحات عملية مستقاة في معظمها من طريقة الصدر الأول ومن أهم هذه المقترحات:

١ - الوقاية العلمية من خلال تكثيف أدوات التوعية والنص على ذلك في خطط المجالس التشريعية وقطاعات الدولة ومؤسساتها المعنية ، وكذلك النص على آليات كل قطاع أو مؤسسة في هذا الأمر وخطواته التنفيذية .

٢ - التركيز في إعداد الموجهين من معلمين وخطباء مؤثرين على طريقة السلف المشار إليها في المواجهة العلمية كتعليم السنة والتوصيف الدقيق للفكرة المنحرفة والتثبت من نسبة الفكرة إلى صاحبها ثم التعريف بأعيان أصحاب هذه الأفكار الدعاة إليها المشهورين بها .

٣ - إنشاء لجان عالية المستوى للتخطيط لدورات علمية وفكرية مستمدة من الوعي بهذه الأفكار يكون هدفها التعريف بها تعريفاً واضحاً ثم اختيار العناصر الصالحة للمواجهة العلمية والتخطيط لدورات علمية وتوجيهية في كيفية الحوار والمناظرة وإيصال المعتقد الصحيح وكشف الانحراف الفكري فهماً وتطبيقاً .

٤ - عمل خريطة للأفكار المنحرفة تشمل وصفها العلمي وتطورها التاريخي ونوعيتها والدافع إليها .

٥ - استبعاد الحلول الإلحادية والإباحية التي نتجت عن الانهزامية أمام النموذج الدخيل على ثقافتنا إذ ثبت فشلها بل ومساهمتها في زيادة المشكلة وتمدها .

٦ - ضرورة أن تهتم المؤسسات التوجيهية كوزارة الشؤون الإسلامية والتربية والتعليم والثقافة والإعلام لوضع خطة لبرامج توجيهية هادفة إلى بث العلم الصحيح وطريقة السلف وإذكاء وسطية الفهم والبحث والنقد وتجريد الفكرة دون تعمد التأثير أو الوقوع تحت التأثير بشيء غير صحة الأدلة وقوتها وذلك بالاستعانة

بالمختصين في تنسيق ذلك حسب المراحل العمرية بالنسبة للتعليم وعلى حسب نوعيات الأفراد وأحوال الناس فيما يتعلق بالبرامج الثقافية والإعلامية .

٧ - ومن مسئولية هذه المؤسسات إعداد خطط تجمع بين تنشيط أداة المحاوره ونشر ثقافة الحوار وبين ضبط هذه الثقافة وتلك الأداة بالضوابط الشرعية الصحيحة .

٨ - تركيز المربين والموجهين على نشر القيم المضادة للانحراف الفكري باعتبارها بدائل تربوية لا غنى عنها ، وذلك من خلال خطة دقيقة لجمع قيم الانحراف كالتسرع في إصدار الأحكام وعدم الدقة والموضوعية والاستهانة بالدماء ، وانحراف النظرة إلى أهل العلم والولاء، ثم وضع البدائل القيمية العاصمة وإشاعتها من خلال القوالب العلمية والدعوية والثقافية والإعلامية ، بحيث يتجنب قدر الطاقة الجانب المباشر ويتوسع في جانب بناء هذه القيم بالطرق التربوية المعروفة .

٩ - توجيه قطاعات الدولة ومؤسساتها إلى حسن السيرة التي تكفل الاستقرار الفكري وتعزيز دور الرقابة لقطع حجج التطرف ومبرراته من هذه الناحية .

١٠ - وجوب التقارب بين العلماء والحكام ومسئولية كلا الطرفين في حدوث هذا التقارب بعد سن التشريعات الفكرية للحد من تغلغل الفكر المنحرف ، بحيث تكون هذه التشريعات وسيلة لنظافة الفكر المطروح واستبعاد المنحرف لا أداة لتكبييل حرية التعبير في الإطار المشروع.

ثبت المصادر والمراجع

١. الآجري: الشريعة تحقيق الشيخ حامد الفقي - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٢هـ.
٢. إبراهيم، عبد الحميد (دكتور): الوسطية العربية مذهب وتطبيق، دار المعارف - القاهرة ١٩٩١م.
٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ صححه محمد يوسف الدقاق - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ.
٤. ابن الأثير: النهاية دار ابن الجوزي الطبعة الرابعة، ١٤٢٧هـ.
٥. أحمد، محمد عبد القادر: دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي أحمد.
٦. أحمد، رفعت سيد وثائق تنظيمات الغضب في السبعينات مكتبة مدبولي - القاهرة. د.ت.
٧. الأشعري: مقالات الإسلاميين تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا ١٤١١هـ.
٨. الألباني: السلسلة الصحيحة مكتبة المعارف - الرياض د.ت.
٩. البخاري: صحيح البخاري تحقيق مصطفى ديب البغا - دار اليمامة - بيروت ١٤٠٧هـ.
١٠. ابن بطّة: الشرح والإبانة تحقيق د. رضا نعيان معطي - مكتبة العلوم والحكم - المدينة ٢٠٠٢هـ.
١١. البعلي المطلاع على أبواب المقنع المكتب الإسلامي بيروت، تحقيق محمد بشير
١٢. الغدادي، عبد القادر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية دار الجليل - الطبعة الثانية - بيروت ١٤٠٨هـ.
١٣. البغوي: شرح السنة تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٠هـ.
١٤. البيهقي: شعب الإيمان تحقيق محمد السعيد زغلول - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٠هـ.
١٥. الترمذي: سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين ط دار إحياء التراث العربي - بيروت. د.ت.
١٦. التيمي، أبو القاسم: الحجة في بيان المحجة تحقيق محمد بن ربيع المدخلي - دار الراية - الرياض ١٤١٩هـ.
١٧. ابن تيمية: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية - تحقيق موسى الدويش - مكتبة العلوم والحكم ١٤٠٨هـ.
١٨. ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل تحقيق محمد رشاد سالم دار الكنوز الأدبية

١٩. ابن تيمية: مجموع الفتاوى دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية ١٤١٦هـ.
٢٠. الجاحظ: البيان والتبيين - تحقيق حسن السندوي - دار إحياء العلوم ١٤٢٠هـ.
٢١. جار الله، زهدي حسن: المعتزلة، المكتبة الإسلامية للتراث القاهرة ٢٠٠٢م.
٢٢. ابن الجوزي: صفة الصفوة - مؤسسة الكتب الثقافية - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
٢٣. ابن الجوزي: تلبس إبليس تحقيق السيد الجميلي - دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٥هـ.
٢٤. ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٢٧١هـ.
٢٥. ابن الحاج: المدخل دار الفكر - ١٤٠١هـ.
٢٦. صحيح ابن حبان تحقيق شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٤ - ١٩٩٣
٢٧. ابن حجر: تعلق التعليق تحقيق سعيد القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار - عمان ١٤٠٥هـ.
٢٨. ابن حجر: تهذيب التهذيب - دار الفكر - بيروت ١٤٠٤هـ.
٢٩. ابن حجر: فتح الباري - دار السلام - الرياض ١٤٢١هـ
٣٠. ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل تحقيق محمد نصر - شركة مكتبات عكاظ ١٤٠٢هـ.
٣١. ابن حنبل، أحمد: المسند تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢٠هـ.
٣٢. ابن حنبل، أحمد: فضائل الصحابة تحقيق د/وصي الله عباس - مؤسسة الرسالة -
٣٣. الحوالي، سفر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي - مكتبة الطيب - مصر ١٤١٧هـ.
٣٤. الخرغان، عبدالله بن عبدالرحمن: أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية - دار الرشيد - الرياض ١٣٢٤هـ.
٣٥. الخلال: السنة تحقيق: د. عطية الزهراني - دار الراية - الرياض ١٤١٠هـ.
٣٦. الدارمي، عثمان بن سعيد: الرد على الجهمية تحقيق بدر البدر - دار ابن الأثير - الكويت ١٩٩٥هـ.
٣٧. أبو داود: سنن أبي داود دار الكتاب العربي - بيروت.
٣٨. داود، جرجس: الزندقة والزنادقة في الأدب العربي - المؤسسة الجامعية للدراسات - بيروت ٢٠٠٤هـ.
٣٩. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال تحقيق عبدالمنعم عامر - دار المسيرة - بيروت. د. ت.
٤٠. الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٢ هـ
٤١. الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون - مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ.

٤٢. الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين تحقيق: علي سامي النشار - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٢هـ..
٤٣. الرحيلي، إبراهيم: موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع - مكتبة العلوم والحكم - المدينة - ١٤٢٥هـ.
٤٤. الزبيدي: تاج العروس دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ.
٤٥. زكريا، فؤاد: الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة - دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر - الإسكندرية ٢٠٠٦م.
٤٦. الزهراني، علي بخت: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث - دار الرسالة - مكة د.ت.
٤٧. ابن سعد: الطبقات الكبرى تحقيق إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٩٦٨م.
٤٨. السفاريني: لوامع الأنوار البهية مؤسسة الخافقين دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ
٤٩. السمعاني: الأنساب دار الجنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ
٥٠. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٣٩٤هـ.
٥١. الشاطبي: الاعتصام - المكتبة التجارية الكبرى - مصر.
٥٢. الشدي، عادل: النفاق وأثره في حياة الأمة - دار الوطن - الرياض ١٤٢٤هـ.
٥٣. الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق محمد سعيد كيلاني - دار المعرفة - بيروت ١٤٠٤هـ.
٥٤. الصفدي: الوافي بالوفيات - مؤسسة النشرات الإسلامية ١٣٩٩هـ.
٥٥. الصلابي، علي : الدولة الأموية - مؤسسة اقرأ ٢٠٠٥هـ.
٥٦. الصلابي، علي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة-مؤسسة اقرأ - القاهرة ١٤٢٨ هـ.
٥٧. الصنيع، صالح بن إبراهيم: التدين و الصحة النفسية مطبوعات جامعة الإمام ١٤٢١ هـ.
٥٨. الضويحي، علي بن سعد: آراء المعتزلة الأصولية دراسةً وتقويماً - مكتبة الرشد ١٤٢١هـ .
٥٩. الطبري: جامع البيان تحقيق أحمد محمد شاكر - دار المعارف - القاهرة الطبعة الثانية. د.ت.
٦٠. عباس، إحسان: شعر الخوارج دار الثقافة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٤م
٦١. ابن عبد البر: الاستذكار تحقيق سالم عطا ، محمد معوض - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢١هـ.
٦٢. ابن عبد البر: التمهيد تحقيق مصطفى العلوي - وزارة الأوقاف - المغرب ١٣٨٧هـ.
٦٣. ابن عبد الحكم فتوح مصر تحقيق محمد الحجيري - دار الفكر - بيروت - ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٦٤. عثمان، عبدالتواب: أثر آراء الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر - دار المحدثين ، القاهرة ٢٠٠٧هـ..

٦٥. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محيي الدين العمروي دار الفكر بيروت ١٤١

٦٦. عطوان، حسين: الزندقة و الشعوبية في العصر العباسي الأول دار الجليل - بيروت د.ت.

٦٧. عفيفي، عبدالرزاق (الشيخ) مذكرة التوحيد دار الصميعي ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ

٦٨. العقل، ناصر: الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام - دار الوطن - الرياض ١٤٢٦هـ.

٦٩. العودة، سليمان: عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتن في صدر الإسلام - دار طيبة- الرياض- ١٤٢٧ هـ

٧٠. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة - دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٢٢هـ.

٧١. الفريابي: القدر ، تحقيق خالد الطرطوسي ، المكتبة العصرية - الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ

٧٢. القاضي، عبدالجبار: شرح الأصول الخمسة مكتبة وهبة - القاهرة - ١٣٨٤هـ.

٧٣. ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث تحقيق محمد زهري النجار - دار الجليل بيروت .

٧٤. ابن قتيبة: عيون الأخبار تحقيق : مجدي السيد ، المكتبة التوفيقية - القاهرة.

٧٥. قطب، محمد: الإنسان بين المادية والإسلام دار الشروق القاهرة ١٤٠٨ هـ.

٧٦. قطب، محمد: دراسات في النفس الإنسانية. دار الشروق القاهرة ١٤٠١هـ.

٧٧. ابن القيم: الصواعق المرسلة دار العاصمة - الرياض ١٤١٨هـ.

٧٨. ابن كثير: البداية والنهاية تحقيق أحمد فتيح - دار الحديث - القاهرة ١٤١٤هـ.

٧٩. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم - دار الفكر - بيروت ١٤١٢هـ.

٨٠. الكميت: ديوان الكميت تحقيق د/محمد نبيل طريفي - دار صادر - بيروت ٢٠٠٠م.

٨١. اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق أحمد سعد حمدان - دار طيبة - ١٤٠٢هـ.

٨٢. اللويحق، عبدالرحمن : الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٣هـ.

٨٣. الميرد: الكامل في اللغة والأدب تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة ١٤١٧هـ.

٨٤. المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - مؤسسة الوفاء - بيروت ١٤٠٣هـ.

٨٥. مختار، عفاف.: تناقض أهل الأهواء والبدع (٢٦٤/١) - مكتبة الرشد - الرياض ١٤٢١هـ.

٨٦. ابن المرتضي: المنية والأمل تحقيق عصام الدين محمد علي - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية .
٨٧. مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني من وجهة نظر المجتمع - أصدره مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني ١٤٢٨هـ.
٨٨. المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر - دار الأندلس - بيروت ١٩٨٣ م .
٨٩. مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٩٠. ابن المطهر: البدء والتاريخ ، دار صادر - بيروت .
٩١. الميداني، عبدالرحمن: غزو في الصميم - دار القلم - دمشق ١٤١٠هـ.
٩٢. ابن النديم: الفهرست مكتبة المعارف - الرياض ، ١٣٩٨هـ.
٩٣. النشار، علي سامي: مناهج البحث عند مفكري الإسلام دار المعارف - القاهرة - ١٣٨٥هـ.
٩٤. أبو نعيم: الإمامة والرد على الرافضة مكتبة العلوم والحكم ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ
٩٥. أبو نعيم: حلية الأولياء دار الفكر بيروت ١٤١٦ هـ .
٩٦. ابن وضاح: البدع والنهي عنها تحقيق محمد دهمان - دار البصائر - دمشق - الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

فهرس البحث

رقم الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٣	التمهيد
٥	المبحث الأول: أهم التحديات التي واجهت الأمن الفكري في صدر الإسلام
٥	النفاق وأشكاله المختلفة
٨	الانحراف الفكري المتعلق بفهم النص
١٢	الانحراف الفكري المتعلق بالعقل
١٤	المبحث الثاني: مداخل هذه التحديات ومحاورها
١٥	المدخل العاطفي
١٥	المدخل البيئي
١٦	المدخل النفعي
١٦	محاور الفكر المنحرف
١٦	محور فكري عقدي
١٨	محور سلوكي عملي
٢٢	المبحث الثالث: وسائل مواجهة هذه التحديات وأساليبها:
٢٢	الوقاية العلمية
٢٣	البيان والتوصيف
٢٤	التوعية والتحذير
٢٥	مواجهة أصحاب هذه الأفكار
٢٧	المبحث الرابع: تجربتنا الحضارية في ضوء معطيات الصدر الأول
٢٧	الثوابت والمتغيرات
٢٨	أسباب فشل بعض مشروعات الحلول
٣١	توصيف الفكرة المنحرفة
٣٢	التدابير الوقائية العامة
٣٣	التدابير الوقائية الخاصة
٣٦	الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

٣٨	ثبت المصادر والمراجع
----	----------------------